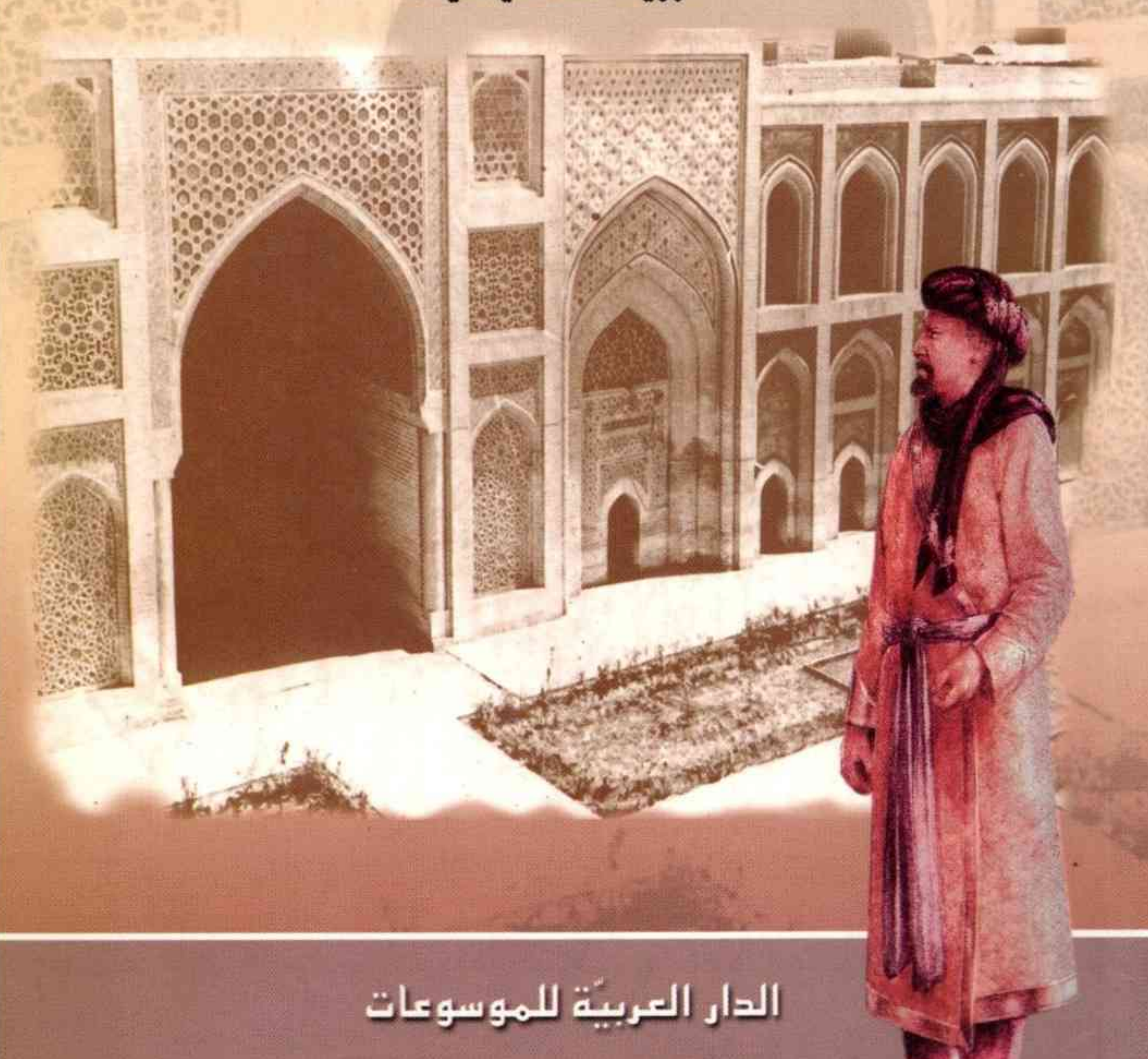
يحيى محمود بن جنيد

أمير المؤمنين الإمام

المستعصم بالله العبّاسي ٦٤٠- ٦٥٦هـ

(رؤية تصحيحية)



الدار العربيّة للموسوعات



أمير المؤمنين الإمام

المستعصم بالله ٦٤٠ - ٦٥٦هـ

(رؤية تصحيحية)


بسم الله الرحمن الرحيم

أمير المؤمنين الإمام

المستعصم بالله ٦٤٠ - ٦٥٦هـ

(رؤية تصحيحية)

يحيى محمود بن جنيد

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م ــ ١٤٢٦ هـ



الدار العربية للموسوعات

الحازمية - ص.ب: ٥١١ - هاتف: ٩٥٢٥٩٤/٠٠٩٦١٥ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢/٠٠٩٦١٥
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣/٠٠٩٦١٣ - ٥٢٥٠٦٦/٠٠٩٦١٣ - بيروت - لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com
البريد الإلكتروني: Info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

الإهداء

إلى روح أمير المؤمنين الخليفة الشهيد الإمام
المستعصم بالله أبي أحمد عبدالله ابن الخليفة
المستنصر بالله العباسي الهاشمي.

المحتويات

تمهيد

كانت ولادة عبدالله الذي عُرف فيما بعد بالمستعصم بالله في خلافة جده الخليفة الظاهر أبي نصر محمد في سنة ٦٠٩هـ بمدينة بغداد.

أما سلسلة نسبه فهي على النحو الآتي: عبدالله ابن المستنصر بالله أبي جعفر المنصور ابن الظاهر أبي نصر محمد ابن الناصر أحمد ابن المستضيء الحسن ابن المستنجد يوسف ابن المتقي محمد ابن المستظهر أحمد ابن المقتدي عبدالله بن محمد ذخيرة الدين ابن القائم عبدالله ابن القادر أحمد بن إسحق ابن المقتدر جعفر ابن المعتضد أحمد ابن أبي أحمد طلحة الموفق ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن الرشيد هارون ابن المهدي محمد ابن المنصور عبدالله بن محمد الكامل ابن علي السجاد ابن حبر الأمة عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، فهو سليل ثمانية خلفاء بشكل متصل.

نشأ في كنف والده المستنصر بالله الذي يعد من أبرز خلفاء بني العباس اهتماماً بالعلم والعمران، ازدهرت في فترته

الحضارة الإسلامية في بغداد، وشاع العلم وكثر الاشتغال به، وشُيِّدت المدارس والمكتبات والربط والمستشفيات. وصفه ابن الكازروني قائلاً:

كان حسن السيرة، جميل السريرة، ذا عمل وعلم، وعفو وحلم، دائم التعبد، كثير التهجد، وكان قبل أن يلي الخلافة لموضع عقله وسداده يلقب بالقاضي، يحب العلم وأهله، وفي أيامه كثر الاشتغال وتجويد الخط والكتابة لرغبته في ذلك وميله إليه، ثم لميله إلى العلم وطلبه له انشأ قريباً من مجلسه خزانة كتب جمع فيها أنواع العلوم على اختلافها وانتخب فيها خطوط المشايخ والعلماء والكتاب، ثم سمت همته العالية إلى إنشاء المدرسة [المستنصرية] التي أوعز بعمارتها على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي، ووقفها على المذاهب الأربعة، وملأها بالفقهاء، فصارت كعبة العلم ومحط أرباب الرغبة إليه والاشتغال به، وجعل بها خزانة كتب انتخبها واستجادها ووقفها على طالبي العلم وشرط إخراجها لمن عساه يرغب في شيء منها، وبنى إلى جانبها دار قرآن وشرط أن يكون بها جماعة من الأطفال المشتغلين بقراءة القرآن

ولهم شيخ ومعيد، وبني مقابلها إيوان عالٍ فسيح في صدره ساعات تعمل الليل والنهار يستضاء بها في جميع أوقات الصلوات، وشرط أن يكون به جماعة من المشتغلين بالطب ولهم شيخ يرجعون إليه ويداوي الفقراء والمرضى الذين يردون عليه، وجعل للجميع من الوظائف ما يعمهم حتى الطبيخ في كل يوم، والصابون والنور لكل منهم في كل شهر بقدر كفايته، وحوائج للمرضى لمن عساه يمرض منهم، ولم يترك شيئاً مما يحتاجون إليه إلا وشرط لهم في كتاب الوقف جميع ذلك، ثم فتحها في رجب سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وكان قبل ذلك أمر ببناء مسجد بالجانب الغربي على نهر عيسى بن علي الهاشمي في موضع يعرف بقمرية... ثم تقدم بعمارة رباط دار الروم... ثم تقدم بعمارة مارستان بالبصرة... وكذلك أمر بعمل آدُر المضيف في جميع محال بغداد القريبة منها والبعيدة لفطور الفقراء في شهر رمضان... وبنى مسجد عشائر المطل على كرسي الجسر العتيق بالجانب الغربي... وبالجملة لم يترك منقبة إلا وسلك طريقها، ولا حسنة إلا وحاز توفيقها[١].

وقال عنه ابن كثير:

كثير الصدقات والبر والصلات، محسناً للرعية بكل ما يقدر عليه... فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرق من سائر الجهات، وقد عمر بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء لا سيما في شهر رمضان، وكان يتقصد الجواري اللائي بلغن الأربعين فيُشترين له فيعتقهن ويجهزهن ويزوجهن، وفي كل وقت يبرز صِلاته الوف متعددة من الذهب، تفرق في الحال ببغداد على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة، وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب... ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير... وكان المستنصر رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس(٢).

ووصفه الأشرف الغساني بأنه كان: «جميل السيرة، حسن السريرة، عام العدل، كثير الإحسان والفضل محسناً إلى كافة الرعية، مكرماً للعلماء، معيناً للفقراء»(٣).

أما والدته فكانت سيدة جليلة هي السيدة هاجر التي كانت: «صالحة، ديّنة، كريمة، كثيرة البر والعطاء»(٤). ووصفها

الأشرف الغساني بقوله: «كانت امرأة صالحة، راغبة في أفعال الخير، مؤثرة للإحسان، نافعة للأرامل والأيتام»[٥].

ويتبين لنا مما سبق أن نشأته كانت في ظل أبوين عُرفا بالفضل، وأن والده على وجه الخصوص تميز بأخلاق عالية وحب للعلم وتقدير للعلماء.

بويع بالخلافة بعد وفاة والده المستنصر بالله يوم الأحد الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة[٦].

ويحسن بنا ونحن نتتبع مسيرة حياته في خلافته أن نضع نصب أعيننا دور والديه في تثقيفه وتلقينه مبادئ السلوك الحميد وحب الخير والاهتمام بالعلم والعلماء ومتطلبات الحياة لعامة الناس.

خلف الإمام المستعصم بالله ثلاثة أولاد، هم: أبو العباس أحمد، وأبو الفضائل عبدالرحمن، وأبو المناقب المبارك. وخمس بنات، هن: عائشة، وكريمة، وفاطمة، وخديجة، ومريم. وقتل أحمد وعبدالرحمن على يد المغول، وبقي المبارك الذي حمل إلى مراغة، أما بناته فقد توفيت اثنتان منهن، هما: عائشة وكريمة، في فترة خلافته، في حين لقيت فاطمة وخديجة ومريم

مصيراً مؤلماً فحملن إلى ما وراء النهر وتوفيت الأولى في أسر المغول، أما الثانية فتزوجها في بخارى الإمام العالم محيي الدين أبو المحامد يحيى ابن أبي المجد إبراهيم ابن أبي الفضائل محمد بن أبي بكر المنيعي الخالدي، وعاد بها إلى بغداد في سنة ٦٧٢هـ وظلت مريم إلى سنة ٦٨١هـ في أسر المغول محترمة مكرمة(٧).

تكونت فيما بعد إمارات عباسية في العراق حكّامها من سلالة الأمير المبارك بن المستعصم بالله، أبرزها:

- إمارة شميدينان.
- إمارة بهدينان.
- إمارة العمادية.

واستمرت تلك الإمارات يحكمها أحفاد المستعصم لعدة قرون، وقد فصل الحديث عنها محفوظ العباسي(٨).

وتهدف هذه الدراسة إلى مناقشة الروايات التي وردت في كتب التاريخ الإسلامي عن المستعصم، وقياس مصداقيتها، وتحليل محتواها؛ للخروج برؤية واقعية عن شخصيته.

الهوامش:

١- **مختصر التاريخ**، ص ٢٦١، ٢٦٢.

٢- **البداية والنهاية**، ١٣ / ١٥٩.

٣- **العسجد المسبوك**، ٢ /٥٠٧.

٤- **مختصر التاريخ**، ص ٢٦٦.

٥- **العسجد المسبوك**، ٢ / ٥٥٥.

٦- السابق، ٢ / ٥١٠.

٧- **مختصر التاريخ**، ص ٢٧٤- ٢٧٧.

٧- **العباسيون بعد احتلال بغداد**.



مقدمة الدراسة

يجمع المؤرخون المعاصرون على أن أمير المؤمنين الإمام المستعصم بالله أبا أحمد عبدالله ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي، الذي حكم في الفترة من ٦٤٠هـ إلى ٦٥٦هـ كان خليفة ضعيفاً محباً للمال، غلب عليه اللهو وفرط في أمور الدولة، وكان بقلة تدبيره سبباً في سقوط الخلافة العباسية. وهم يعتمدون فيما ذهبوا إليه على مجموعة من المعلومات السلبية المتناثرة في كتب التاريخ الإسلامي، التي أخذها المؤرخون مأخذ صدقٍ، وسردوها على اعتبارها حقائق تقدم وصفاً لسلوك المستعصم بالله وتبين النهج الذي سار عليه.

وتنطلق هذه الدراسة من فرضية محورها أن أغلب السلبيات التي أُلصقت بالمستعصم بالله غير صحيحة، وأنه على عكس ما وصف به من نقائص، كان خليفة متيقظاً مهتماً بأمور دولته، يحمل صفات إيجابية كثيرة لم يُلتفت إليها. وللتحقق من هذه الفرضية نهج الباحث في دراسته هذه منهجاً تحليلياً مقارناً، ووزع محتواها على ثلاثة مسارات:

أولها: سرد النصوص التاريخية التي تصف شخصيته وفقاً لتسلسلها الزمني.

ثانيها: تتبع النصوص التاريخية التي تحتوي على معلومات تؤيد ما وصف به سلباً أو إيجاباً.

ثالثها: حقيقة ما كان عليه المستعصم بالله اعتماداً على النصوص الواردة في كتب التاريخ.

وقد أكثر الباحث من اقتباس النصوص اقتباساً مباشراً بلغة أصحابها قصداً لتكون عملية المقارنة موضوعية وواضحة، كما أنه سرد النصوص وفقاً لأقدمية المصدر اعتماداً على سنة وفاة المؤلف، ومثل هذا الأسلوب يمكّن من كشف التناقض أولاً، ويبرز المحاكاة في النقل ثانياً، ويظهر الحقائق جلية واضحة دون لبس أو تحيز.

النصوص التاريخية التي تصف شخصيته

يعد ابن العبري، غريغوريوس الملطي المتوفى سنة ٦٨٥هـ صاحب أقدم نص يحتوي على وصف لشخصية المستعصم بالله، وهو يذكر فيه أنه:

كان صاحب لهو وقصف وشغف بلعب الطيور، واستولت عليه النساء، وكان ضعيف الرأي، قليل العزم، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول، وكان إذا نُبِّه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التاتار، إما المداراة والدخول في طاعتهم، وتوخي مرضاتهم، أو تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق، فكان يقول: أنا بغداد تكفيني، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت عن باقي البلاد، ولا أيضاً يهجمون عليَّ وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي[١].

ويصفه في نص آخر قائلاً:

تولى ست عشرة سنة، وكان عقله عقل الصبيان لا يميز الخير من الشر، أسرف زمانه بلعب الحمام والالتهاء بالطيور، وكان إذا قيل له: إن التتر متأهبون ليكبسوا بغداد كبسهم سائر

المدن الشهيرة في العجم، يقول لهم: إن بغداد هي تختنا، ولن يدخلوها ما لم نأذن لهم، وهكذا أزال الله تعالى الدولة العباسية في عهده(٢) .

أما ابن الكازروني البغدادي المتوفى سنة ٦٩٧هـ فيصفه بأنه كان :

جميل الصورة، حسن الوجه، كامل المحاسن، أسمر اللون، حسن العينين، مسترسل شعر الوجه، ظاهر الحياء، كثير التلاوة للقرآن المجيد، صالحاً، ديّناً، لا يتعرض بشيء من المنكر، ولعله لم ير صورته ولا يعرفه، وكان لين الأكناف صالحاً، ديّناً، شريف النفس، كريم الطباع... وصبر على الشدائد والأمور المستعصيات، فإن عساكر المغول دهمته ونزلت بين الكشك العتيق والملكية في سابع عشر ربيع الأخر سنة اثنتين وأربعين وستمائة، فتلقاهم بعزم شديد، ورأي سديد، وأخرج إليهم إقبالاً الشرابي... وكان - قدس الله روحه - كثير الصيام والتنفل(٣) .

وعند مؤرخ ثالث ممن عاصروه وهو ابن الطقطقي المتوفى سنة ٧١٠هـ كان :

رجلاً خيراً، متديناً، لين الجانب، سهل العريكة، عفيف اللسان

والفرج، حمل كتاب الله تعالى، وكتب خطاً مليحاً، وكان سهل الأخلاق، وكان خفيف الوطأة، إلا انه كان مستضعف الراي، ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمور المملكة، مطموعاً فيه، غير مهيب في النفوس، ولا مطلع على حقائق الأمور، وكان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني والتفرج على المساخرة، وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة، وكان أصحابه مستولين عليه، وكلهم جهال من أراذل العوام، إلا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي؛ فإنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال. وكان مكتوف اليد، مردود القول، يترقب العزل والقبض صباح مساء(٤).

ويورد رشيد الدين الهمذاني المتوفى سنة ٧١٨هـ الذي كان من أتباع المغول رسالة من هولاكو إلى المستعصم بالله تتضمن مثالب في شخصيته، يقول فيها:

إن الله الأزلي رفع جنكيز خان، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب، فكل من سار معنا، وأطاعنا، واستقام قلبه ولسانه تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه، ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع من ذلك. ثم عاتب الخليفة بشدة قائلاً:

لقد فتنك حب الجاه والمال، والعجب والغرور بالدولة الفانية بحيث إنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير، وإن في اذنيك وقراً فلا تسمع نصح المشفقين، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك(٥).

كما يشير رشيد الدين إلى خلاف وقع بين رجال دولة المستعصم بالله حول التعامل مع المغول، وأنهم اجتمعوا عند الوزير ابن العلقمي وأطلقوا ألسنتهم بقدح الخليفة وطعنه قائلين: «إنه صديق المطربين والمساخرة، وعدو الجيش والجند»(٦).

ويصفه ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ وهو معاصر لسقوط الدولة العباسية، بأنه كان: «ظاهر الحياء، سهل الأخلاق، وكان ملازماً لصوم الاثنين والخميس دائماً»(٧).

وهو عند اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ: «متديناً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة على ما كان عليه والده وجده رحمهما الله، ولم يكن على ما كانا عليه من التيقظ وعلو الهمة»(٨)، ويورد خبر وديعة الناصر داود ويبني عليها حكمه بأنه كان خائناً للأمانة(٩).

أما أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ فاكتفى بوصفه بأنه كان: «ضعيف الرأي، قد غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره»(١٠).

ويأتي الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ فينقل عن سابقيه ما أوردوه من صفات سلبية وإيجابية فيقول: «كان فاضلاً، تالياً لكتاب الله، مليح الكتابة... وكان كريماً، حليماً، ديِّناً، سليم الباطن، حسن الهيئة... وكان يلعب بالحمام وفيه حرص وتوانٍ»(١١).

وفي مصدر ثانٍ ينقل الذهبي عن اليونيني قوله:

كان فيه شح وقلة معرفة، وعدم تدبير، وحب للمال، وإهمال للأمور، وكان يتكل على غيره، ويقدم على ما لا يليق وعلى ما يستقبح، ولو لم يكن إلا ما فعله مع الناصر داود في أمر الوديعة. قلت: وكان يلعب بالحمام، ويهمل أمر الإسلام، وابن العلقمي يلعب به كيف أراد، ولا يطلعه على الأخبار، وإذا جاءته نصيحة في السر اطلع عليها ابن العلقمي(١٢).

ويصفه في مصدر ثالث قائلاً: «وكان فيه لين وقلة معرفة»(١٣).

وفي مصدر آخر يقول عنه:

أجاز له المؤيد الطوسي وجماعة، وسمع من علي بن النيار

الذي لقنه الختمة، روى عنه محيي الدين بن الجوزي، ونجم الدين الباذرائي بالإجازة... وكان حليماً كريماً سليم الباطن قليل الرأي، حسن الديانة، مبغضاً للبدعة في الجملة، وختم له بخير(١٤).

ويقول مغلطاي المتوفى سنة ٧٦٢هـ: «قتلته التتار سنة ست وخمسين وستمائة وأخربوا أكثر بلاد الإسلام بسوء تدبيره وسماعه من العلقمي خاذل الدين وزيره»(١٥).

وينقل الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ عن سابقيه، خاصة الذهبي واليونيني، فيصفه أنه :

كان متديناً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة، على ما كان عليه والده وجده رحمهم الله، ولم يكن على ما كانوا عليه من اليقظة والهمة، بل قليل المعرفة والتدبير والتيقظ، نازل الهمة، محباً للمال، مهملاً للأمور، يتكل فيها على غيره، ولو لم يكن فيه إلا ما فعله مع الملك الناصر داود في أمر الوديعة لكفاه ذلك عاراً وشناراً... إلى غير ذلك من الأمور التي كانت تصدر عنه، مما لا يناسب منصب الخلافة، ولم تتخلق بها الخلفاء قبله(١٦).

ويصفه ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ بصفات إيجابية في نص يقول فيه:

اتقن في شبيبته تلاوة القرآن حفظاً وتجويداً، واتقن العربية والخط الحسن وغير ذلك من الفضائل على الشيخ شمس الدين أبي المظفر علي بن محمد بن النيار أحد ائمة الشافعية في زمانه، وقد أكرمه وأحسن إليه في خلافته... وكان المستعصم على ما ذكر كثير التلاوة، حسن الأداء، طيب الصورة، يظهر عليه خشوع وإنابة، وقد نظر في شيء من التفسير وحل المشكلات، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً، مقتدياً بأبيه المستنصر بالله جهده وطاقته، وقد مشت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة بحمد الله(١٧).

وفي نص آخر نجده يورد صفات إيجابية كثيرة مع إشارة إلى بعض السلبيات، فيرى أنه:

كان حسن الصورة، جيد السريرة، صحيح العقيدة، مقتدياً بأبيه المستنصر في المعدلة وكثرة الصدقات وإكرام العلماء والعباد... وكان رحمه الله سُنِّياً على طريقة السلف واعتقاد الجماعة... ولكن فيه لين وعدم تيقظ، ومحبة للمال وجمعه،

ومن جملة ذلك انه استعمل الوديعة التي استودعها إياه الناصر داود ابن المعظم، وكانت قيمتها مائة الف دينار، فاستقبح هذا من مثل خليفة(١٨) .

ووصفه الأشرف الغساني المتوفى سنة ٨٠٨هـ بصفات إيجابية مع إيراد صفة سلبية واحدة، فيذكر أنه كان: «عفيف الفرج، لم ينقل عنه أنه عصى الله بفمه ولا فرجه، ولا أخل بصيام الاثنين والخميس من كل شهر، وكان يصوم رجب من كل سنة إلى أن فارق الدنيا، إلا أنه لم يكن بصيراً بتدبير الملك»(١٩) .

وقال ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ: «كان فقيهاً محدثاً»(٢٠) .

وذهب القلقشندي المتوفى سنة ٨٢٠ إلى القول إنه: «كان ضعيف الرأي والبصر بتدبير الأمور، ذا طمع... ولما ولي الخلافة استبد كبراء دولته بالأمر»(٢١) .

وقصر ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ كلامه عنه بالقول إنه كان: «خلياً من الرأي والتدبير»(٢٢)، و«قليل المعرفة بتدبير الملك، نازل الهمة، مهملاً للأمور المهمة، محباً لجمع الأموال، يقدم على فعل ما يستقبح»(٢٣) .

وينقل السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ما رددته بعض المصادر السابقة له فيصفه بأنه: «كان كريماً، حليماً، سليم الباطن، حسن الديانة. قال الشيخ قطب الدين: كان متديناً متمسكاً بالسُّنة كأبيه وجده، ولكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة»[٢٤].

ولا تخرج أقوال المؤرخين الآخرين الذين لم نقتبس عنهم ما وصفوا به المستعصم عن جملة الأقوال السابقة.



النصوص التاريخية
التي تؤيد ما وصف به سلباً أو إيجاباً

هناك نصوص لها علاقة بالمستعصم بالله نستطيع من خلالها الوقوف على ما يؤيد ما ورد في النصوص التي قدمت لنا وصفاً مباشراً لشخصيته سلباً أو إيجاباً، نوردها فيما يأتي:

حب المال وعدم الأمانة:

ففيما يخص حبه لجمع المال وعدم أمانته يعد اليونيني أقدم من أشار إلى قضية وديعة الناصر داود، التي تعد دليلاً على القول بحبه لجمع المال وعدم الأمانة، وقد وردت الإشارة إلى هذه القضية في حوادث سنة ٦٥٤هـ ونصها:

ذكر ما تجدد للملك الناصر في السنة [٦٥٤هـ]

كانت له وديعة سنية عند الخليفة من جواهر وغيرها، فتوقف في ردها عليه وشرهت نفسه إليها، واحتج بحجج لا معنى لها، وجرى في ذلك خطوب يطول شرحها، وكان الملك الناصر حج في السنة الخالية وعاد إلى العراق بسببها، فأنزل بالحلة، وأجري عليه راتب لا يليق به، ولا يناسب محله، وكان الخليفة قد عمر ببغداد قصراً، فلما تم هنته الشعراء، هناه الملك

الناصر بقصيدة تلطف فيها، وعدد خدمه وخدم أسلافه، فلم يجد ما يكافئه أن سير إليه من حاسبه على جميع ما وصل إليه طول المدة من النفقات وما أوصلوه إليه مفرقاً، وما ضيفوه به في تردده وإقامته وظعنه من خبز ولحم وعليق... وقالوا: قد وصل إليك قيمة وديعتك، فاكتب خطك بوصوله، وأنه لم يبق لك عند الديوان حق ولا مطالبة، فلم يمكنه إلا الإجابة والمسارعة، فكتب، ولم يصله من ثمنها إلا دون العشر، فانصرف ساخطاً(٢٥).

وأشار إلى حادثة الوديعة مؤرخ آخر هو ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ فذكر في حوادث سنة ٦٤٧هـ أن الناصر داود، ابن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الكرك استجار بالناصر صاحب حلب:

لما ضاق أمره، وأرسل من حلب إلى الخليفة أودع عنده جوهراً يساوي مائة ألف دينار إذا بيع بالهوان، ووصل خط الخليفة المستعصم بتسليمه، فكان آخر العهد به لما وقع من الحوادث واستناب على الكرك ابنه المعظم عيسى، فغضب ابناه الأكبران الأمجد حسن والظاهر شاذي لذلك، وبعد سفر أبيهما قبضا

على اخيهما عيسى وسلما الكرك إلى الصالح ايوب[٢٦] .

كما يشير إليها في حوادث سنة ٦٥٤هـ فيقول:

وفيها طلب الملك الناصر داود من الملك الناصر يوسف دستوراً إلى العراق ليطلب من الخليفة الجوهر الذي أودعه، فاذن له، فسار إلى كربلاء ثم إلى الحج، ولما رأى قبر النبي ﷺ تعلق في أستار الحجرة الشريفة وقال: اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله ﷺ داخلاً عليه، مستشفعاً به إلى ابن عمه المستعصم في أن يرد عليَّ وديعتي، فارتفع بكاء الناس، وكتب بصورة ما جرى مشروح، ودفع إلى أمير الحاج في الثامن والعشرين من ذي الحجة، وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي وأقام ببغداد[٢٧] .

اللهو وحب النساء:

أما سماع الأغاني واللهو وحب النساء، فهناك نص عند الكتبي ورد في ترجمته لصفي الدين بن فاخر الأرموي المتوفى سنة ٦٩٣هـ جاء فيه أنه كانت ببغداد:

مغنية تعرف بلحاظ فائقة الجمال، تغني جيداً، فأحبها الخليفة، وأجزل لها العطاء، فكثر خدامها وجواريها وأملاكها،

فاتفق ان غنت يوماً بين يديه بلحن طيب غريب، فسألها عنه، فقالت: هذا لمعلمي صفي الدين، فقال: عليَّ به. فأُحْضِرْتُ بين يديه، وضربت بالعود فأعجبه، وأمر بملازمة مجلسه، وامر لي برزق وافر وخير جزيل، غير ما كان ينعم به عليَّ، وصرت اسفر بين يديه وأقضي للناس حوائج، وكان لي مرتب في الديوان كل سنة خمسة آلاف دينار، يكون عنها دراهم مبلغ ستين الف درهم...[٢٨] .

ومن الأخبار التي تتعلق بعلاقاته النسائية ما ذكره ابن العبري عما جرى بعد دخول هولاكو إلى بغداد، وأن الخليفة لما رأى:

أن لا بد من الخروج أراد او لم يرد استأذن هولاكو بأن يحضر بين يديه، فاذن له، وخرج رابع صفر، ومعه اولاده واهله، فتقدم هولاكو أن ينزلوه بباب كلواذ، وشرع العساكر في نهب بغداد، ودخل بنفسه إلى بغداد ليشاهد دار الخليفة، وتقدم باحضار الخليفة فأحضروه، ومثل بين يديه... وعند المساء خرج إلى منزله وأمر الخليفة أن يفرز جميع النساء التي باشرهن هو وبنوه ويعزلهن عن غيرهن، ففعل، فكن سبعمائة امرأة[٢٩] .

ومما يذكره ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٥٦هـ أن المغول:

نزلوا بالجانب الغربي وقد خلا من اهله، فشرعوا بالرمي بالنشاب إلى الجانب الشرقي، فكانت السهام تصل إلى الدور الشطانية، وكان الخليفة جالساً في رواقه وبين يديه صغيرة من مولدات العرب تسمى (عرفة) كانت مدللة مطبوعة مضحكة، فاصابها سهم دخل من بعض الشبابيك فقتلها، فانزعج الخليفة لذلك، واحضر السهم بين يديه فإذا عليه مكتوب (إذا اراد الله ان ينفذ قضاءه سلب ذوي العقول عقولهم)، فامر عند ذلك بعمل ما يحول بين شبابيك الدار وبين الرماة، فعملت ستائر من الواح الخشب[٣٠].

وأورد ابن كثير هذه الحادثة بصيغة أخرى فقال:

واحاطت التاتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، حتى اصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً واحضر السهم الذي اصابها فإذا عليه مكتوب (إذا اراد الله إنفاذ قضائه وقدره اذهب من ذوي العقول عقولهم)، فامر الخليفة

عند ذلك بزيادة الاحــتــراز، وكــثــرت الســتــائر على دار الخلافة(٣١).

اللعب بالحمام:

وأما اللعب بالحمام، فلم نقف على خبر يوضح لنا كيفية ذلك، وإن كان ابن الفوطي قد أورد خبرين يتصلان بهذه المسألة، فذكر في الأول أن المستعصم بالله أمر في سنة ٦٤٣هـ بإرسال:

طيور من الحمام إلى أربع جهات لتصنف أربعة أصناف، منها مشهد حذيفة ابن اليمان بالمدائن، ومشهد العسكري بسر من رأى، ومشهد غنى بالكوفة، والقادسية، ونفذ مع كل عدة من الطيور عدلان ووكيل، وكتب بذلك سجل شهد فيه العدول على القاضي بثبوته عنده، وسميت هذه الأصناف باليمانيات والعسكريات والغنويات والقادسيات(٣٢).

وفي الآخر في حوادث سنة ٦٤٤هـ قال:

وفي هذه السنة وصلت الطيور الحمام من عبادان وخشبات، وسبق النقيب الطاهر قطب الدين أبو عبدالله الأقساسي من سطح الشرابي، فنظم العدل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد المدائني كاتب الإنشاء قصيدة يمدح فيها الخليفة

ويقول فيها:

سبق النقيب من البلاد بأسرها

جبليها وجنوبها وشمالها

لا واسط أجدت عليه وإنما

ضرته بلدة أربل بجبالها

والموصل الفيحاء مات جماعة

فيها مع الغرباء في أطلالها

ملك الحمائم ما بحشو قلوبها

شوق إلى دار النقيب وحالها

إني لأعذرها وقد ولت إلى

سنجار تطلب خمسها من مالها

لم تلق في سطح النقيب غذاءها

أبداً سوى أتواره بزلالها

كم هذه الخلوات إني خائف

من بردها وزكامها وسعالها

ما كان يغلط طائر لك مرة

فيجيء عاشرها لدى إرسالها

الله أكبر إن هذه عبرة

لم يقتدر أحد على أمثالها

لو صور الله البروق حمائماً

لك لم تر الإيماض في أفعالها

وسواك لو حمل الدجاج مسابقاً

سبقتك طائرة على إرسالها

ثم قال فيها أبياتاً، منها:

أرسل الطاهر النقيب طيوراً

لسباق فلم يفز بمرادِ

وطيور المولى الشرابي جاءت

وطيور النقيب في كل وادي

ما حداها على التأخر إلا

طلب الخمس في طباق زادِ(٣٣)

وإذا كانت النقول السابقة ذات علاقة بصفات سلبية وصف بها المستعصم بالله، وهي الاهتمام بالغناء واللهو واللعب بالحمام وحب المال، فإن الآتية تؤكد صفاته الحميدة الإيجابية، منها:

حبه للعلم وعلاقته بالعلماء:

فمن الأخبار التي تبين حبه للعلم وعلاقته بالعلماء ما ذكره ابن الفوطي في ترجمة مجد الدين أبي المعالي نصر بن عبدالله ابن أحمد الحربي الأديب أنه: «سمع معنا الأحاديث الثلاثيات على شيخنا الصاحب محيي الدين يوسف بن الجوزي بالمدرسة البشيرية في رجب سنة ثلاث وخمسين وستمائة بقراءة الصاحب محيي الدين على الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين»(٣٤). وفي ترجمته لمحب الدين أبي سعد أحمد بن عبدالواحد بن أحمد البصري يذكر أن: «وفاته كانت سنة إحدى وسبعين وستمائة، وهو ممن سمع معنا الأحاديث الثمانية المستعصمية بالمدرسة البشيرية»(٣٥). كما يورد في ترجمة كمال الدين أبي محمد الحسن بن علي بن الحسن الفارسي الشيرازي أنه:

سمع الأحاديث الثمانيات من رواية الإمام المستعصم بالله أبي احمد عبدالله امير المؤمنين على الأمير ابي نصر محمد بسماعه من ابيه الأمير ابي المناقب مبارك بسماعه على والده الخليفة، وذلك بجراندب تبريز في زاوية مولانا قطب الدين

في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعمائة بقراءته، واخبرته اني سمعتها على الصاحب محيي الدين ابي محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي عن الخليفة ايضاً(٣٦).

وفي ترجمته لقطب الدين أبي طالب عبدالكريم ابن القاضي أبي الحسن علي بن أبي اليمني البغدادي أنه:

سمع على شيخنا شهاب الدين علي بن حصين الفخري، وسمع عليّ الأحاديث (الثلاثة عشر المستعصميات) بحق سماعي من الصاحب السعيد محيي الدين ابي محمد يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي بسماعه من المستعصم بالله بسنده، وذلك بحضرة والده في يوم الأحد ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس عشرة وسبعمائة(٣٧).

وفي ترجمته لقوام الدين أبي إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أبي المعالي الشيرازي الصوفي أنه:

كان من الأعيان الأفاضل، وممن سافر في طلب العلم... وسمع بقراءتي على سيدنا الإمام المعظم أبي نصر محمد بن الأمير السعيد أبي المناقب المبارك بن المستعصم بالله أبي احمد جميع الأخبار (الثلاثة عشر الثمانينات) بحق روايته عن أبيه

عن جده بسنده، واخبرته اني سمعتها على الصاحب السعيد الشهيد محيي الدين ابي محمد يوسف بن الجوزي عن المستعصم ايضاً، وصح ذلك في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعمائة بجراند في تبريز(٣٨).

ويروي ابن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ في ترجمة زين الدين علي بن عبدالله البغدادي الحنبلي أنه: «سمع الأحكام للإمام أبي البركات عبدالسلام بن تيمية من المؤلف، والأحاديث الثلاثة عن المستعصم على مخرجها الإمام الأستاذ محيي الدين يوسف بن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي»(٣٩). ويورد في ترجمة عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي المعروف بابن الجامة أنه:

دخل بغداد مرة أخرى وحدث هناك وأملى ورزق حظاً وافراً، وخرَّج اربعين حديثاً لأمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس في بغداد، وآخر الشهداء من الخلفاء؛ المستعصم بالله أبي احمد عبدالله بن المستنصر بالله أبي جعفر المنصور العباسي(٤٠).

ويؤكد اليونيني على اشتغال المستعصم بالله بالعلم وعنايته

بالحديث في نص يقول فيه :

استجاز له ولجماعة من أهله أبو عبدالله بن النجار في رحلته إلى خراسان جماعة كثيرة، منهم أبو روح عبدالمعز بن محمد الهروي، وأبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي، وأبو بكر القاسم بن عبدالله الصفار، وأم المؤيد زينب بنت عبدالرحمن الشعري، وغيرهم، وحدث فسمع منه صدر الدين شيخ الشيوخ أبو الحسن علي بن محمد وحدث عنه، وأجاز الإمام محيي الدين بن المظفر يوسف ين الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، والشيخ نجم الدين أبي محمد عبدالله بن محمد الباذرائي، وحدثنا عنه بهذه الإجازة(٤١).

تمسكه بالسنة ومناهضته البدع:

أما تشدده في التمسك بالسنة ومناهضة البدع فإن من بين الأخبار التي وقفنا عليها ما أورده ابن الفوطي في ترجمة محيي الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد ابن الشقاق المقرئ، حيث قال :

كان من كبار العلماء والأفاضل، وكان متشدداً في السُّنة، يلعن أهل البدعة ظاهراً على منبر الوعظ، ولا تأخذه في الله لومة

لائم، وله أصحاب يترددون إلى مجلسه، وجرت له بهذا التعصب نكت أوجبت أن منع عن الجلوس خوف الفتنة من العوام، ثم اذن له في ذلك بتقدم من المستعصم بالله، ولما جلس ذكر قصيدته، وهي تنيف على مائة وعشرين بيتاً، واولها :

أوحشنا أصحابنا في المجلس

في هذه المدة إذ لم نجلس

فالحمد لله على كبت العدي

ودحض أهل الرفض والتمجس

ما يدخل البدعي في مجلسنا

إلا شبيه السارق المختلس(٤٢)

حلمه وتواضعه:

ومن الأخبار التي تظهر حلمه وتواضعه ولين جانبه ما رواه ابن الأرموي الذي كان يعمل في خزانة الكتب الثانية للمستعصم بالله من أنه كان جالساً في حجرة وهو ينسخ، وكانت في الحجرة نفسها :

مرتبة برسم الخليفة، إذا جاء إلى هناك جلس عليها، وقد بسطت عليها ملحفة لترد عنها الغبار، فجاء خويدم صغير

ونام قريباً من المرتبة المذكورة واستغرق في النوم، فتقلب حتى تلفف في تلك الملحفة المبسوطة على المرتبة، ثم تقلب حتى صارت رجلاه على المسند، قال: وانا مشغول بالنسخ، فأحسست بوطء في الدهليز، فنظرت فإذا هو الخليفة وهو يستدعيني بالإشارة ويخفف وطأه، فقمت إليه منزعجاً وقبلت الأرض، فقال لي: هذا الخويدم الذي قد نام حتى تلفف في هذه الملحفة وصارت رجلاه على المسند متى هجمت عليه حتى يستيقظ ويعلم أني قد شاهدته على هذه الحال تنفطر مرارته من الخوف، فأيقظه أنت برفق فإني سأخرج إلى البستان ثم أعود. قال: وخرج الخليفة، فدخلت إلى الخويدم وأيقظته فانتبه، ثم أصلحنا المرتبة، ثم دخل الخليفة(٤٣).

عنايته بالمكتبات والمدارس:

أما عنايته بالعلم وتوفير سبله للمحتاجين فهناك أخبار كثيرة تدل على احتفاء المستعصم بالله بهذا الأمر، فاعتنى بجمع الكتب، وشيد لها الأبنية، كما دعم تشييد المدارس وإتاحتها لطلبة العلم، وهو في هذا المسلك يتشبه بأبيه المستنصر بالله.

ومن الأخبار التي تبين ذلك ما ذكره ابن الطقطقي من أن صفي

الدين عبدالمؤمن بن فاخر الأرموي:

كان قد صار في آخر ايام المستعصم بالله مقرباً عنده ومن خواصه، وكان قد استجد في آخر ايامه خزانة كتب، ونقل إليها من نفائس الكتب، وسلم مفاتيحها إلى عبدالمؤمن، فصار عبدالمؤمن يجلس بباب الخزانة ينسخ له ما يريد، وإذا خطر للخليفة الجلوس في خزانة الكتب جاء إليها وعدل عن الخزانة الأولى التي كانت مسلمة إلى الشيخ صدر الدين علي ابن النيار(٤٤).

ويورد الكتبي خبراً عن خزانة كتب المستعصم بالله في ترجمة صفي الدين الأرموي رواية عن العز الأربلي الطبيب عن صفي الدين نفسه قوله: «ثم إن الخلافة وصلت إلى المستعصم فعمر خزانة كتب، وأمر أن يختار لها كاتبان يكتبان ما يختاره، ولم يكن في ذلك الوقت أفضل من الشيخ زكي الدين، وكنت دونه في الشهرة، فرتبنا في ذلك»(٤٥).

ويذكر ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٤١هـ أن الخليفة أمر:

بعمل خزانة للكتب في داره، وكتب على جهاتها أشعار، منها ما نظمه صفي الدين عبدالله بن جميل متقدم شعراء الديوان:

أنشا الخليفة للعلوم خزانة

سارت بسيرة فضله أخبارها

تجلو عروساً من غرائب حسنها

در الفضائل والعلوم نثارها

أهدى مناقبه لها مستعصم

بالله من لألائه أنوارها(٤٦)

ويورد الأشرف الغساني الخبر على صيغة أخرى ضمن حوادث سنة ٦٤١هـ فيذكر أن الخليفة أمر:

بإنشاء خزانتين للكتب متقابلتين، فجاءت كل واحدة منهما في نهاية الحُسن، وجعل فيها من نفائس الكتب من سائر العلوم، وكتب على وجه الأولى منها:

أنشا عمارتها خليفة عصره

لا زالت الأفلاك من أنصاره

مستعصم بالله من أوصافه

جمع العلوم بليله ونهاره

فأصولها من بيته وفروعها

تقرا عليه وكتبه في داره

وكتب على وجه الأخرى:

خليفة الله قد أكملت بنيتها

فليس في وقتها شيء يدانيها

أودعتها من عقول الناس ما سمحت

به النفوس وأبدت عن معانيها

حتى كأن شيوخ العلم قاطبة

جاءوا إليك وقد أنكتهم فيها[٤٧]

وفي عهده أنشأ وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي مكتبة ذكرها ابن الفوطي ضمن حوادث سنة ٦٤٤هـ قائلاً:

وفيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي في داره، ونقل إليها كتب من أنواع العلوم، فأنشد العدل موفق الدين القاسم ابن أبي حديد:

رأيت الخزانة قد زينت

بكتب لها المنظر الهائل

عقول الشيوخ بها ألفت

ومحصوله ذلك والحاصل

ولما مـثلت بهـا قـائمـاً

واعـجبـني الفـضل والفـاضل

تمثلت أسـمـاءها منكـم

على النقل ما كـذب الناقل

بها «مجمع البحرين» لكنه

من الجـود ليس له سـاحل

ومنها «العذب» من فضلكم

و «مـغنى» ولـكنه نائل

ومنهـا «الوسيط» بما نرتجيـه

وفيها «النهاية» و «الكامل»

وإن كـان أغـزرها «شامل»

فـقـد زانهـا جـودك الشـامل

وإن كـان قـد فـاتهـا فـائت

أبو الفضل في علمه كامل(٤٨)

وأشار إليها ابن كثير في حوادث سنة ٦٤٤هـ قائلاً: «وفيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي بدار الوزارة، وكانت في نهاية الحسن، ووضع

فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيء كثير»[٤٩].

ومما يدخل ضمن عنايته بالمكتبات ما ذكره ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٤٠هـ؛ أي في بدء خلافته، من أنه «قصد المدرسة المستنصرية يوم الجمعة سابع شعبان ومعه الشيخ شمس الدين علي بن النيار واعتبر خزانة الكتب التي بها وأنكر عدم ترتيبها ووكل بالنواب يومين ثم أفرج عنهم»[٥٠].

كما اهتم بإنشاء المدارس، فوقفت زوجته المعروفة بـ(باب بشير) المدرسة المستجدة المجاورة لدار سوسبان على المذاهب الأربعة، وعرفت تلك المدرسة بالمدرسة البشيرية. ويشير ابن الفوطي إلى حفل افتتاحها في حوادث سنة ٦٥٣هـ فيقول:

وفيها فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد تجاه قطفتا التي أمرت ببنائها محظية الخليفة المستعصم بالله أم ولده أبي نصر المعروفة بباب بشير، وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية، ووقفت عليها وقوفاً كثيرة قبل فراغها، وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة، وحضر الخليفة وأولاده فجلسوا في وسطها، وحضر الوزير وارباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون، وكان

المدرس بها سراج الدين النهرقلي اقضى القضاة، وشرف الدين عبدالله ابن أستاذ الدار، ومحيي الدين بن الجوزي، ونور الدين محمد بن الغربي الخوارزمي الحنفي، وعلم الدين احمد بن الشرمساحي المالكي، وعملت وظيفة عظيمة، وخلع على المدرسين المذكورين، وعلى الناظر بها، ونواب العمارة، والفراشين، وخدم القبة، وانشدت الأشعار، وكان يوماً مشهوداً(٥١).

ويورد الأشرف الغساني الخبر بصيغة أكثر تفصيلاً فيذكر أنه:

في يوم الخميس ثالث عشر شهر جمادى الآخرة فتحت المدرسة البشيرية، وحضر الخليفة المستعصم بالله وأولاده وخواصه من الخدم، ثم حضر الوزير وكافة أرباب الدولة وذو المناصب والمدرسون ومشايخ الربط والصوفية، وعملت بها دعوة جميلة كان مبلغ الدقيق الذي عمل منه الخشكنان والسنبوسج ثلاثة أكرار، ومبلغ ما ابتيع من السكر لأجل الحلوى سبعة وعشرون ألف رطل وإلى غير ذلك، وعين من فقهاء الأربعة مذاهب أربعة مدرسين، ونقل إليها من الكتب ما حمل على ستة وثلاثين صندوقاً بالخطوط المنسوبة والنسخ

المضبوطة، منها مما هو بخط ابن البواب، وبخط ابن [. . .] سبعون قطعة ومصحف كريم بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومصحف بخط زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، ومصحف بخط ابن البواب إلى غير ذلك، وافيضت فيه خلع كثيرة، واورد الشعراء المدائح، وجرت الحال في حضور الوزير ومن جرت عادته بحضور ترب الرصافة وترب الأصحاب من القراء والوعاظ وإيراد الشعراء على ما تقدم في هذه السنة الحضور بالمدرسة البشيرية[٥٢] .

كما أن السيدة باب بشير أسست مدرسة خاصة بالقرآن . ويذكر ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٥٢هـ أنه في سلخ شعبان «فتحت دار القرآن التي أمرت بعمارتها والدة الأمير أبي نصر محمد ابن الخليفة المستعصم المعروفة بباب بشير التي بنت المدرسة البشيرية وهذه الدار على شاطئ دجلة بغربي بغداد»[٥٣] .

اهتمامه بأمور الرعية ومصالح الدولة:

أولى المستعصم بالله الجوانب الاجتماعية اهتماماً ملاحظاً من خلال ما كان يقدمه هو أو أحد أفراد أسرته، ومن ذلك أن والدته

السيدة هاجر أمرت بعمارة رباط للفقراء ففتح سنة ٦٥٠هـ في احتفال كبير، ونص خبر هذا الرباط كما يأتي:

وفيها - أي سنة ٦٥٠هـ - فتح الرباط المستجد الذي أمرت أم الخليفة المستعصم بعمارته، إلى جانب تربتها بشارع ابن رزق الله، وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة، وكان الخليفة في سطحه، وعملت فيه دعوة عظيمة، وخلع على كل من تولى عمارته(٥٤).

وفي السنة نفسها فتح «الرباط الذي أمرت بتجديده أم الخليفة الناصر مجاور مشهد عبيدالله عليه السلام، وعملت فيه دعوة، وكان قد تشعث منذ الغرق، وأجري على ما كان عليه أولاً»(٥٥).

ويذكر ابن الفوطي أن الخليفة المستعصم بالله وقف في سنة ٦٥٢هـ:

دار سوسبان، وما يجرى معها من ا لحجر والبساتين، وجعلت رباطاً للصوفية، ورتب الشيخ عبدالصمد ابن أبي الجيش إمام مسجد القمرية شيخاً للصوفية بها، وجعل ولده موضعه في مسجد قمرية، ثم وقف (دار الشط) المجاورة لدار الفلك

وجعلت رباطاً للنساء، وجعلت شيختها الشريفة بنت المهتدي(٥٦).

ومن الأخبار التي تدل على عدله وإنصافه لرعيته من كل الطبقات أنه رد في سنة ٦٥٣هـ:

أملاك الوزير القمي على ورثته، وكان سبب ذلك أن عبدالرحمن بن الطبال وكيل الخليفة استأذن في بيع شيء من عقاره، فقيل للخليفة: إن هذه الأملاك وقفها القمي على ابنتيه التي إحداهما زوجة الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، والأخرى زوجة عز الدين محمد ولده، فأمر بإعادة جميع الأملاك عليهما(٥٧).

ومن صور تفقده لأمور الرعية أنه ركب في يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ٦٤٠هـ:

شبارة ومعه شرف الدين إقبال الشرابي وعز الدين مرشد الهندي المستعصمي، وأصعد في دجلة إلى مشرعة الكرخ، وعاد منحدراً إلى باب الأزج، ثم عاد إلى داره، ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخيل وتقدم إلى جميع من كان يركب مع والده بالركوب معه وقصد دار الحريم، ودخل الرباط، ثم

تكرر ركوبه فلم يدع صالحاً ولا ولياً إلا زاره وقصد مشهده، ولا رباطاً منسوباً إليهم ولا مدرسة إلا تردد إليه وشاهده[٥٨].

كما أولى الحج عناية خاصة فاهتم بطريقه، وذلك ما فعله في رمضان سنة ٦٤٠هـ؛ حيث:

تقدم إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعد المبارك بن المخرمي أن يهتم بأمور الحج وإعادته على أجمل قواعده، وكان قد انقطع منذ سنة أربع وثلاثين وستمائة، فعين على شخص يعرف بابن المحسن، وتقدم إليه أن يمضي إلى الآبار في طريق مكة ويقيها ويصلحها، ورتب عليه مشرف يعرف بابن ورخز، ونفذ معهما جماعة من الرجال والأجناد، وعزل الأمير حسام الدين أبو فراس ابن جعفر بن أبي فراس عن إمارة الحج ورتب عوضه الأمير سيف الدين الناصري، ووقع التعين على السبلدارية، فرتب أبو القاسم بن كلالة التاجر في سبيل الخليفة المستعصم بالله ويعرف بـ (سبيل الفقراء)، وجعل السراج عمر ابن بركة النهرقلي مشرفاً عليه، ورتب في سبيل المستنصر بالله الشيخ عماد الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وجعل عليه مشرفاً أحمد الحربوي،

وعين سبيل للخليفة الظاهر بأمر الله، وسبيل لابنه الخليفة المستنصر بالله، وسبيل لوالده الخليفة الناصر لدين الله، وعين لكل سبيل من يتولاه، ورتب مشرفه[٥٩] .

واهتم بأمور السجناء، فأمر في شعبان سنة ٦٤٠هـ: «بالإفراج على جميع المسجونين في حبس الشرع، بعد أن يرضى غرماؤهم بالمصالحة على ديونهم»[٦٠] . وفي سنة ٦٤٢هـ كرر ذلك فأمر «بمصانعة غرماء المحبوسين في حبس الشرع وأداء ما عليهم، والإفراج عنهم، وأبرز برسم الصدقات شيئاً كثيراً»[٦١] . وأورد الغساني خبراً مشابهاً في حوادث سنة ٦٤٣هـ قال فيه: «وفي شهر جمادى الآخرة صولح غرماء المحبوسين في حبس الشرع وأحضر غرماؤهم ودفع إليهم ما وقع التراضي عليه، وأخرجوا جميعاً»[٦٢] .

واعتنى منذ بداية توليه الخلافة بتوفير الطعام للناس وجعله في متناول أيدي الفقراء منهم، ففي اليوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٤٠هـ:

برز أمر الخليفة المستعصم بالله إلى المحتسب عبدالرحمن بن الجوزي بتقرير سعر مسترخص للحنطة وغيرها، وكان الكر

من الحنطة بخمسة وخمسين ديناراً واربعة عشر قيراطاً، وكان الخبز كل عشرة أرطال منه بدرهم، فجعل اربعة عشر رطلاً بدرهم، والزم أصحاب الغلات باتباع هذا السعر، وأحضر المحتسب الطحانين، واخذ خطوطهم بذلك(٦٣) .

وفي سنة ٦٤١هـ وفي غرة شهر رمضان أمر الخليفة :

بتفرقة ما جرت العادة به من الذهب والدقيق والغنم على المدارس والأربطة، والجوامع، وزوايا الفقراء، والمشاهد، وفتح دور الضيافة لأجل فطور الفقراء والمحاويج في شهر رمضان، وفتحت دار الضيافة بالمشهد الكاظمي لأجل العلويين المقيمين به، وداران بالجانب الشرقي والجانب الغربي للفقراء من العباسيين، ودار بصحن السلام من دار الخلافة لأجل الساكنين بدار الشجرة من أولاد الخلفاء، فعمت هذه المبار خلقاً كثيراً وجماً غفيراً(٦٤) .

وفعل الأمر نفسه في غرة رمضان سنة ٦٤٨هـ ففرقت «الوظيفة من الذهب والدقيق والغنم على أرباب المدارس والأربطة والزوايا جرياً على العادة، وفتحت دور الضيافة في جانبي مدينة السلام»(٦٥) .

وفي غرة رمضان سنة ٦٥٢هـ «فرقت الوظيفة الرمضانية بالمخزن من الدقيق والغنم والذهب على أرباب المدارس والأربطة والزوايا والمساجد، وفتحت دور الضيافة وصنعت بها الأطعمة لفطور الفقراء جرياً على العادة»(٦٦).

وفي غرة رمضان سنة ٦٥٣هـ «فرقت الرسوم الرمضانية من الدقيق والغنم والذهب، وفتحت دور الضيافة في جانبي بغداد على جاري عادتها»(٦٧).

ومن الواضح أن تلك العادة كانت تجري في كل سنوات خلافته.

وكان شديد الاهتمام بقضاء حوائج الناس، فيروى ابن الطقطقي عن بعض أهل بغداد أن صدر الدين بن النيار شيخ الخليفة قال:

دخلت مرة إلى خزانة الكتب على عادتي، وفي كمي منديل فيه رقاع كثيرة لجماعة من أرباب الحوائج، فطرحت المنديل وفيه الرقاع في موضعي، ثم قمت لبعض شأني، فلما عدت إلى الخزانة بعد ساعة حللت الرقاع من المنديل حتى أتأملها وأقدم منها المهم، فرأيتها جميعاً وعليها توقيع الخليفة بالإجابة إلى جميع ما فيها، فعلمت أن الخليفة قد جاء إلى

الخزانة عند قيامي فرأى المنديل وفيه الرقاع، ففتحها ووقع على جميعها(٦٨).

ومما يدل على متابعته لأمور الدولة ما ذكره ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٤٥هـ من أن خازن المدرسة المستنصرية أنهى:

أنه شاهد ختم الخزانة متغيراً والقفل بحاله، فاعتبروا ما فيها من الرهون والعين، فشذ منها شيء، ومن المال ثلثمائة دينار، فأنهى ذلك إلى الخليفة فأمر بإلزام الفقهاء والحاشية برمي تراب، ففعلوا ذلك ثلاثة أيام، فلم يجدوا شيئاً، فقام بتقسيط ذلك على البواب بالخزانة والفراشين على قدر أحوالهم، فاستوفى ذلك منهم، ورتب عوضهم(٦٩).

وكان من عادته تفريق عطايا في شهر رجب، ويذكر الأشرف الغساني:

أن الخليفة امر في رجب يوم السبت ثامن رجب سنة ٦٤٥هـ بتفريق الرسوم الرجبية من البر المتقبل بالبدرية، وسلمها إلى اربابها شرف الدين إقبال الشرابي بحضور السادة الأمراء اولاد الخلفاء، واوردت اشعار لبعض ارباب الرسوم، فمن ذلك ما أورده القاضي أبي المعالي بن أبي الحديد كاتب الإنشاء في

الحضرة المقدسة، فقال :

عادت لعودتك الحياة إلى الورى

وتمتـعت تـلك النواظر بالكرى

وتحـقق المثل الذي نطقـوا به

عند التصبح يحمد القوم السرى

الله جـار خليفـة مـستـعصم

بالله أنى ســار أو أنـى ســرى

يا سـيـد الخلفـاء يا من عـدله

أحيـا القرى ونواله سنى القرى

أثرى بجــودك كل حي ناطق

وهمى فروى من سحائبه القرى

ما أنـت إلا الغـيث روّى بقـعـة

وسرى إلى أخرى فجاد واكثرى(٧٠)

ومن الأخبار التي تظهر حرصه على الأمور العامة ما فعله في أمر جوهر الهندي، ففي شهر ربيع الآخر:

وصل جوهر الهندي من اليمن تحت الاستظهار فحبس في دار البستان، وكان جوهر هذا قد نشأ في دار الخلافة، وهو جميل

الصورة، فصيح العبارة، كامل الخصال، قبيح الفعال، فجعله سيده من جملة خدم ترب الخلفاء بالرصافة، فسرق شيئاً من حلية الأضرحة، فحبسه، فهرب إلى اليمن، وحظي عند صاحب اليمن، فلما علم الخليفة بمكانه كتب إلى السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر صاحب اليمن فبعث به تحت الحفظ[٧١].

كما عمل على معالجة الفتن الطائفية التي كانت تنشب داخل بغداد دون تحيز إلى طائفة دون أخرى، ومن ذلك أن فتنة وقعت بين أهل الرصافة وأهل محلة أبي حنيفة والخضيريين أدت إلى سفك الدماء، وذلك في سنة ٦٥٣هـ:

فنفذ شحنة بغداد من زجر اهل محلة ابي حنيفة وكفهم عن الشر، ثم إنهم اقتتلوا بعد ايام وجرح بين الفريقين خلق كثير، وقتل جماعة، واستظهر اهل محلة ابي حنيفة والخضيريين على أهل الرصافة، وباتوا تلك الليلة واستعدوا للقتال، وعزموا على إحراق محلة ابي حنيفة، وعبر من اهل باب البصرة لمساعدة اهل الرصافة خلق كثير، ومن اهل الكرخ لمساعدة الخضيريين، فحضر اصحاب الشحنة وكفوهم

فتفرقوا، ومنعوا أهل الرصافة ان يدخل إليهم شيء فبقوا على ذلك اياماً، ثم احضر إلى الديوان جماعة من مشايخهم واعيانهم، واخذ خطوطهم بكف الأشرار ومنعهم عن الفساد، واحضر جماعة من محلة ابي حنيفة، واصلح بين الفريقين(٧٢).

في سنة ٦٥٤هـ:

قتل أهل الكرخ شاباً من اهل قطفتا فوقع مضرجاً بدمائه، فاستغاث أهله، وشاهده جماعة من الخدم، وأطنبوا في ذم أهل الكرخ، فتقدم الجند بزجرهم وردعهم، فهجم عليهم العامة ونهبوا عدة مواضع من محلتهم وسبوا نساء، فعظم الأمر، فأمروا برد ما أخذوا من الأمتعة وغيرها، فرد شيء، وفات شيء كثير(٧٣).

ومما يظهر رغبته في تجاوز الخلافات الطائفية ما كان يلجأ إليه من منع لبعض المظاهر المسببة للاختلاف من مثل ما قام به في المحرم من سنة ٦٤٨هـ من «منع أهل الكرخ والمختارة من النياحة والإنشاد وقراءة مقتل الحسين عليه السلام، خوفاً من تجاوز ذلك إلى ما يؤدي إلى وقوع الفتنة»(٧٤).

وفعل الأمر نفسه في سنة ٦٥٠هـ؛ حيث «منع الشيعة من قراءة المقتل في يوم عاشوراء إلا في المشهد الكاظمي ومحلة الكرخ خاصة، خوفاً من وقوع فتنة»[٧٥].

علاقته بالمناطق الإسلامية خارج حكمه:

تبين جملة من الأخبار الواردة في المصادر التي وقف عليها الباحث أنه كان على علاقة حسنة مع أمراء وسلاطين الأقاليم الإسلامية في الأناضول والشام ومصر واليمن، وأنه كان يحظى بالاحترام والتقدير باعتباره خليفة للمسلمين، ففي سنة ٦٤٢هـ «وفي شهر جمادى الأولى وصل الملك الأفضل موسى بن أسد الدين شيركوه هارباً من أخيه صاحب حمص ملتجئاً إلى أبواب الديوان العزيز»[٧٦]، وفي السنة نفسها «في شهر جمادى الآخرة وصل الأمير يعقوب بن شيركوه بن شاهنشا بن شيركوه صاحب حمص بأهله وولده فتلقي بالإكرم والقبول، وقبل العتبة بباب النوبي، وخلع عليه في دار الوزارة»[٧٧]، وبقي الأمير يعقوب في ضيافة الخليفة إلى سنة ٦٤٤هـ ثم قرر العودة إلى حمص في الثاني من شهر رجب، وجاء خبر عودته على النحو الآتي: «وفي شهر رجب فرقت الرسوم الرجبية على أربابها، وفي

اليوم الثاني منه خلع على الملك المظفر يعقوب ابن صاحب حمص وأعطي فرساً عربياً بمركب ذهباً، ورفع بين يديه غاشية وحمل حوله در باشات، وجعلت معيشته خمسة آلاف دينار في كل سنة. وفي الرابع عشر من الشهر المذكور توجه إلى بلاده بعد أن خلع عليه خلعة أخرى وأعطي فرساً عربياً بعدة كاملة وطوقاً ذهباً، وأذن له في التوجه وأنعم عليه بألفي دينار»(٧٨).

وفي سنة ٦٤٣هـ «سير الصالح إسماعيل وزيره الغالب على راية أمين الدولة، وكان سامرياً وأسلم إلى الخليفة ليشفع في الصلح بينه وبين ابن أخيه، فأبى الخليفة ذلك»(٧٩).

وفي شهر ربيع الآخر من سنة ٦٤٥هـ «وصل رسول من ملك الروم وتلقي بموكب الديوان، وحضر مجلس الوزارة وأدى رسالته وعرض ما صحبه من تحف وهدايا وسأل قبول ذلك فقبل»(٨٠).

وفي سنة ٦٤٦هـ عمل على وقف القتال بين الأشرف موسى صاحب حمص والناصر صاحب حلب، وأشار إلى هذه الحادثة ابن الوردي فقال:

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة، وفيها سلم الأشرف موسى حمص إلى عسكر الناصر صاحب حلب بعد حصار

وتعوض بتل باشر على ما بيده من تدمر والرحبة، فغاظ ذلك نجم الدين ايوب وقدم إلى دمشق مريضاً، وارسل عسكراً إلى حمص فحوصرت بالمناجيق، ثم بلغه وصول الفرنج إلى دمياط، ووصل نجم الدين [البادرائي] رسول الخليفة بالصلح بين الصالح والحلبيين وإن تستقر حمص للحلبيين، فأجاب الصالح إلى ذلك واستناب بدمشق جمال الدين بن يغمور وعزل ابن مطروح، ورحل الصالح في محفة من دمشق(٨١) .

وفي سنة ٦٤٨هـ « نادى كبراء الدولة بمصر والقاهرة أن البلاد للخليفة المستعصم، ثم جددت الأيمان للأشرف ولأتابكة أبيه(٨٢) .

وفي سنة ٦٤٨هـ تولت شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب أمر مصر، وعلى الرغم من إظهارها الخضوع لسلطة الخليفة المستعصم بالله في الدعاء له على المنابر، وضربها السكة وعليها اسم الخليفة، والإشارة إليها بـ « ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل »(٨٣)، إلا أن ذلك لم يرق للإمام المستعصم بالله، إذ ينقل ابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠هـ عن شمس الدين الجزري أن الخليفة المستعصم بالله لما بلغه ذلك الخبر وهو ببغداد

أرسل إلى أهل مصر رسولاً:

يقـول لهم: أعلمـونا إن كـان مـا بقي عندكم في مـصـر من الرجـال من يصلح للسلطنة، فنحن نرسل إليكم من يصلح لها، أما سمعتم في الحديث عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (لا يفلح قوم ولوا أمرهم امـرأة)، وأنكر عليهم بسبب ذلك غاية الإنكار... فلما بلغ شجرة الدر ذلك جمعت الأمراء والقضاة، وخلعت نفسها من السلطنة برضاها(٨٤).

وفي هذا الخبر دليل على نفوذ الإمام المستعصم بالله على الرغم من عدم وقوع المنطقة في دائرة حكمه المباشر؛ إذ إن رسالته كانت سبباً في تخلي شجرة الدر عن الحكم.

وفي سنة ٦٤٩هـ أرسل بالخلع والتقليد إلى ملك اليمن، كما يوضح ذلك الخبر الآتي الذي أورده ابن الفوطي في ترجمة عماد الدين بن عطاف البغدادي قائلاً:

عماد الدين أبو محمد علي بن أبي طالب بن عطاف البغدادي الرسول، ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه، وقال: في سنة تسع وأربعين وستمائة أنفذ عماد الدين رسولاً مع الفقيه نجم الدين موسى القمراوي في رسالة من المستعصم بالله إلى

ملك اليمن يوسف بن عمر بن رسول بالخلع والتقليد بولاية اليمن[٨٥].

وفي سنة ٦٥٠هـ:

افرج الناصر يوسف عن الناصر داود بن المعظم الذي كان صاحب الكرك من اعتقاله بحمص بشفاعة الخليفة، وامره أن لا يسكن في بلاده، وطلب بغداد فما مكن من وصولها، ومنعوه وديعته الجوهر، وكتب الناصر يوسف إلى ملوك الأطراف أن لا يأووه ولايجَيروه، فبقي في جهات عانة والحديثة، وضاقت به الحال بمن معه[٨٦].

وفي سنة ٦٥١هـ تدخل لوقف القتال بين الشاميين والمصريين، فأوفد نجم الدين البادرائي فدخل «بين صاحب مصر وصاحب الشام، وأصلح بين الجيشين وكانوا قد اشتد الحرب بينهم ونشبت، وقد مالأ الجيش المصري الفرنج ووعدهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصروهم على الشاميين»[٨٧]. ويورد الأشرف هذه الحادثة ضمن ما وقع في سنة ٦٥٠هـ فيذكر أن أبا محمد البادرائي مدرس النظامية أرسل «من الديوان العزيز إلى السلطان الملك العزيز صلاح الدين يوسف بن محمد

بن غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب ودمشق ليصلح بينه وبين الترك المستولين على مصر، فأجاب بالسمع والطاعة»[88].

وعندما تكرر القتال بين المصريين والشاميين في سنة ٦٥٣هـ «مشى نجم الدين البادرائي في الصلح بين المصريين والشاميين على أن للناصر الشام إلى العريش والحد بئر العاصي، وهو ما بين الواردة والعريش، وللمعز أيبك الديار المصرية، ورجع كل إلى بلده»[89].

وتبين الأخبار السابقة متابعة المستعصم بالله لأحوال المسلمين وسعيه إلى الإصلاح بين حكام المناطق وانصياع أولئك الحكام لحكمه. ولا شك أن ذلك الموقف يعد من المواقف الجليلة للإمام المستعصم حيث تمكن رسوله من حقن دماء المسلمين ووقف النزاع بين الحاكمين.

ويذكر ابن الوردي أنه في سنة ٦٥٦هـ «وصل من الخليفة الطوق والتقليد إلى الملك الناصر يوسف بن العزيز»[90].

ومما اهتم به في مجال العمران خارج بغداد عنايته بالحرم الشريف ومساجد مكة؛ إذ يذكر الفاسي أن مما اعتنى به:

«عمارة بعض الجانب الشمالي من المسجد الحرام، ومسجد الراية بأعلى مكة»[91].

وقد ضربت السكة في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي وعليها اسم المستعصم بالله باعتباره أميراً للمؤمنين، من ذلك دينار ضرب في القاهرة سنة ٦٥٥هـ في فترة السلطان عز الدين أيبك.

مقاومته للمغول:

لم يكن المستعصم بالله منصرفاً عن مقاومة المغول؛ إذ إنه بذل جهده وطاقته فقام بإجراءات عسكرية لصدهم ومقاومتهم، ففي المحرم من سنة ٦٤٣هـ يذكر ابن الفوطي أن الخبر وصل إلى بغداد:

ان المغول خرجوا من همذان في ستة عشر الفاً وقصدوا الجبل، فأمر الخليفة بالاستعداد للقائهم وتبريز العساكر إلى ظاهر السور، فخرجوا على التؤدة والهوينى، فوصل الخبر ان طائفة منهم قصدوا خانقين ووقفوا على جماعة من اصحاب الأمير شهاب الدين سليمان شاه بن برجم زعيم الإيوانية، وقربوا من بعقوبا ونهبوا وقتلوا، ووصل أهل طريق خراسان والخالص إلى بغداد، فأمر حينئذ باستنفار الأعراب من

البوادي والرجالة من الأعمال، وتفريق السلاح ورفع المناجيق على السور، وخرج الشرابي إلى مخيمه بظاهر السور، فوصل إليه رسول من الأمير فلك الدين محمد بن سنقر... المعروف بوجه السبع، وكان بالقليعة يزك يخبره بوصول المغول ومحاذاتهم له، فركب في الحال وعين على من يتوجه لمساعدة فلك الدين المذكور، ثم أخذ في تعبئة العساكر وترتيبها ميمنة وميسرة، فوصلت عساكر المغول ونزلوا بإزائهم وجرت بين الطرفين حرب ساعة من نهار، ثم باتوا على تعبئتهم، فلما أصبحوا لم يجدوا من عساكر المغول أحداً، وكفى الله المؤمنين القتال(٩٢).

ويورد الأشرف الغساني الخبر في صيغة مختصرة ويجعله ضمن حوادث شهر ربيع الأول فيقول:

وصل الخبر أن طائفة من التتر خرجوا من همذان في ستة عشر ألفاً، وقصدوا الجبل، وقصدت طائفة منهم خانقين ووصلوا إلى قريب من بعقوبا. وأمر الخليفة بتبريز العساكر إلى ظاهر البلد، وأمر بتفرقة السلاح. وفي يوم السادس عشر خرج إقبال الشرابي، وخرج العسكر، ووصل الخبر بوصول

التتر فركب العسكر واصطفوا للقتال، فوصل التتر يوم السابع عشر ووقعت العين على العين، وتقابل الفريقان، واقتتلوا فقتل من كل طائفة طائفة، وافترقوا آخر النهار، فلما أصبح الصباح ارتحل التتر راجعين، فلما تحققوا انفصالهم لم يتبعهم أحد، فوصل الخبر أنهم عبروا وادي دجلة ونهبوا طريق خراسان ويعقوبا وقتلوا واسروا(٩٣).

وفي سنة ٦٤٧هـ:

وصل الخبر إلى بغداد أن طائفة المغول كبسوا ديوان خانقين وما يجاورها وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ونهبوا أغناماً كثيرة وأبقاراً وغير ذلك، وساروا إلى رانكاو وفعلوا مثل ذلك... فجفل الناس من طريق خراسان والخالص، ودخلوا بغداد فخاف الناس وانزعجوا، وتقدم الديوان إلى الأمراء والعساكر بالخروج إلى ظاهر البلد، وتقدم إلى كافة أهل البلد برمي النشاب والاستعداد وتعليق السلاح في الأسواق والخانات والدكاكين والمبيت في الأسواق وإشعال الأضواء، ففعلوا ذلك بجانبي مدينة السلام، ونفذت الطلائع ومعهم الطيور ليخبروا بصورة الحال، فعادوا وأخبروا أن المغول عادوا ودخلوا

الدربند بعد ان قتلوا في دقوقا خلقاً كثيراً وأسروا جماعة، وارتكبوا الفواحش بالنساء والصبيان، فحينئذ دخلت العساكر واطمأن الناس[٩٤].

كما أنه بذل جهده لصدهم عن بغداد سنة ٦٥٦هـ، فخاض جيشه معركة خاسرة معهم، فدخلوا بغداد وسفكوا دماء سكانها وقتل هو وبعض أهل بيته وجمع كبير من العلماء. ولعلنا نتذكر هنا ما قاله ابن الكازروني من أنه تلقى المغول بعزم شديد ورأي سديد، وهو ما ينفي عنه التقاعس والتخاذل عن مقاومتهم.

وكان في إمكان الخليفة مغادرة بغداد قبل الحصار والرحيل إلى الشام أو مصر، غير أنه ظل في عاصمة الخلافة مفضلاً الموت على الهرب منها.

حقيقة المستعصم بالله

اعتماداً على النصوص الواردة في كتب التاريخ

نستطيع مما سبق أن نلخص مجمل ما ورد في كتب التاريخ في وصف شخصية المستعصم بالله على النحو الآتي:

أولاً: الصفات السلبية

الصفة	المصادر
صاحب لهو وقصف وحب للنساء	ابن العبري، ابن الطقطقي، رشيد الدين الهمذاني، الكتبي.
يلعب بالطيور والحمام	ابن العبري، الذهبي.
ضعيف الرأي، قليل الخبرة، سيئ التدبير، مهمل، نازل الهمة	ابن العبري، ابن الطقطقي، اليونيني، أبو الفداء، الذهبي، الكتبي، ابن كثير، ابن تغري بردي، القلقشندي، السيوطي.
يصاحب الجهال من أراذل العوام	ابن الطقطقي.
محباً للمال، شحيحاً، حريصاً	رشيد الدين الهمذاني، اليونيني، الذهبي، ابن الوردي، ابن كثير، القلقشندي، ابن تغري بردي.

ثانياً: الصفات الإيجابية

كريم الطباع، شريف النفس، فاضلاً	ابن الكازروني، ابن الفوطي، الذهبي، ابن كثير، الغساني، السيوطي.
كثير التلاوة للقرآن	ابن الكازروني، ابن الطقطقي، الذهبي، ابن كثير.
صالحاً، ديِّناً، متمسكاً بالسُّنة، مناهضاً للبدع	ابن الكازروني، ابن الفوطي، ابن الطقطقي، اليونيني، الذهبي، الكتبي، الغساني، السيوطي.
عفيف الفرج واللسان	ابن الكازروني، ابن الطقطقي، ابن كثير، الغساني.
صبوراً على الشدائد	ابن الكازروني.
صاحب رأي سديد، وعزم شديد	ابن الكازروني، ابن كثير.

ظاهر الحياء، سهل العريكة، خفيف الوطأة	ابن الكازروني، ابن الطقطقي، ابن الفوطي، ابن كثير، السيوطي.
حليماً	ابن الطقطقي، الذهبي، السيوطي.
محدّثاً	ابن الفوطي، ابن رافع السلامي، اليونيني، ابن خلدون.
فقيهاً	ابن خلدون.
عادلاً	ابن الطقطقي، ابن الفوطي، الغساني.
مهتماً بالعلم وتوفير مصادره	ابن الكازروني، ابن الطقطقي، ابن الفوطي، الكتبي.
مهتماً بأمور الدولة، حريصاً على الرعية	ابن الطقطقي، ابن الفوطي، ابن كثير، الغساني.

ويبدو لنا التناقض واضحاً من الجدولين السابقين؛ إذ كيف يكون متمسكاً بالدين محباً للسُّنة فقيهاً محدثاً، وفي الوقت نفسه محباً للهو يقضي وقته في سماع الأغاني والمساخرة ويلعب بالحمام والطيور؟! وكيف يكون نازل الهمة غير متيقظ لأمور الدولة غافلاً عما يجري حوله، وفي المقابل متابعاً لما يجري في دولته متنبهاً للأخطاء، عادلاً، حريصاً على قمع الفتن؟! وكيف يوصف بالشح وحب المال وخيانة الأمانة، وفي الأخبار التي وردت عنه ما يشعر بكرم طباعه وسخائه وإغداقه الأموال على الفقراء، وعلى أهل العلم؟!

ولو حاولنا مناقشة تلك المتناقضات فسنجد أن ابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥هـ كان أول من وصفه بأوصاف سيئة وقدح في أخلاقه، ولما كان معاصراً له فإن ما قاله وجد قبولاً لدى المؤرخين الذين جاؤوا من بعده، فأسندوا تلك الصفات إليه. ويقابل ما ذهب إليه ابن العبري من وصفه بالقبائح ما وصفه به ابن الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧هـ من أوصاف حميدة ولم يورد أي صفة قبيحة عنه، وبالتالى فنحن أمام رأيين متناقضين لمؤرخين معاصرين للمستعصم بالله، وعند المقارنة والترجيح بين الرأيين

نجد أن ابن العبري كان من مواليد ملطية في بلاد الأناضول، مارس مهنة الطب واختار طريق الزهد والتنسك، وانفرد في مغارة بالبرية ثم انتقل إلى طرابلس الشام وأنطاكية، وتولى أسقفية جوباس من أعمال ملطية ثم أسقفية لاقبين القريبة من جوباس، ثم نقل إلى أسقفية حلب، وبعد زمن رحل برغبته إلى دير برصوما بالقرب من ملطية، ثم سافر إلى دمشق، وبعد استيلاء المغول على بغداد توغلوا في بلاد ما بين النهرين وسوريا واقتربوا من حلب، وهناك سار ابن العبري إلى هولاكو ليستعطفه على رعيته، ويبدو أنه دخل الموصل، ثم استقر في نهاية حياته في مراغة(٩٥) حاضرة المغول التي نقلوا إليها نفائس ما سلبوه من بغداد، وبالتالي فإن غريغورس الملطي المعروف بابن العبري رغم معاصرته للمستعصم إلا أنه لم يدخل بغداد ولم يقطن طوال حياته في أي منطقة من المناطق التي كانت تخضع لحكم المستعصم بالله، وعليه فإن كل ما أورده كان سماعياً، كما كان على صلة وثيقة بالمغول يؤكد عليها استقراره في مراغة ووفاته فيها، فلا يمكن الركون إلى أقواله أو الأخذ بها؛ فهي مما كان يروجه المغول وأشياعهم عن الخليفة، وهي ذاتها التي نجدها

متناثرة في جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني والفخري في الآداب السلطانية.

أما ابن الكازروني الذي وصفه بصفات إيجابية، ولم يورد أي صفة سلبية عنه، فقد كان بغدادياً، إذ ولد فيها سنة ٦١١هـ وهو ممن عملوا في بلاط الخلافة، فكان يباشر الأشغال الديوانية في ديوان الأبنية سنة ٦٤٩هـ ولكي يتولى ذلك المنصب كان عليه أن «يثبت أمانته وديانته بأن يعدل عند قاضي القضاة أو أقضى القضاة قبل مباشرته الوظيفة، وقد نال ذلك ووصف بالعدل»(٩٦)، واستمرت عدالته بعد انقراض الدولة العباسية؛ لأن العدالة التي تثبت بشهادة عدلين من عدول القاضي الأكبر وبحضرته لا تزول إلا بالعزل...(٩٧). ووصفه أحد المؤرخين بأنه «اشتهر بالعلم والعمل، فكان علامة بغداد، وعالمها، الإمام المقرئ المجود»(٩٨)، ووصفه آخر بأنه «كان فرضياً حاسباً، مؤرخاً، شاعراً، كثير التلاوة والعبادة، مهيباً وقوراً»(٩٩).

ومما سبق فإن رأي ابن الكازروني في المستعصم بالله هو الأقرب إلى الصواب بحكم المواطنة والشهادة له بالعدالة والصدق والعلم.

ويقوي رأي ابن الكازروني ما نجده من أخبار عن علاقة

المستعصم بالله بالعلم، خاصة الحديث النبوي الشريف، ورواية علماء أحاديث نبوية جمعها وأخذت عنه، وكذلك ما سرده بعض المؤرخين من أخبار مطولة عن وضع الدولة في عهده توضح متابعته لدقائق الأمور ويقظته، وتنفي ما قيل عنه من غفلة وضعف وعدم اهتمام بمجريات الأمور في فترته.

وإذا كان ابن الطقطقي الذي كان قريب العهد من فترة المستعصم بالله يورد صفات سلبية عنه، أهمها ما انفرد به حين قال: إنه كان يصاحب الأراذل من العوام، وهي صفة لا تقف أمام الوقائع التاريخية التي توضح لنا اهتمامه بالعلماء ومصاحبته لهم وانشغاله بالإصلاح والبناء، إلا أننا نجده يورد إيجابيات كثيرة عنه من بينها ذلك الخبر الذي يدل على حلمه وعدله عندما أشار إلى حادثة الخادم الذي نام في مكانه الذي كان يجلس فيه عندما يتردد على المكتبة، وعلى عدالته في خبر الرقاع التي اطلع عليها في المكتبة الأخرى.

أما المؤرخون الذين لم يعاصروه فانقسموا إلى قسمين، القسم الأكبر منهم جمعوا بين سرد الصفات الإيجابية والسلبية دون تمحيص لتلك الأخبار وما حملته من تناقض بين، والقسم الآخر

وهم قلة ذكروا صفات سلبية استقوها من ابن العبري وابن الطقطقي ولم يلتفتوا إلى صفاته الإيجابية وسوف نناقش أهم ثلاث صفات سلبية نسبت إليه فيما يأتي:

أولاً: الشح وحب المال وخيانة الأمانة

يعد خبر الوديعة الركيزة التي بني عليها الحكم بحبه للمال وجشعه وخيانته للأمانة، وقد اعتمد المؤرخون في إلصاق هذه السلبية به على اليونيني الذي يعد أول من أوردها، ثم تبعه ابن الوردي؛ حيث أوردا أحداثاً تلصق به تلك التهمة. ويدور الشك في مسألة هذه الوديعة لتعدد الأخبار فيما يتعلق بأموال الناصر داود وسيرته المضطربة، فإلى جانب الخبر الذي أوردناه سابقاً يكرر اليونيني الإشارة إلى هذه الوديعة في نص آخر في حوادث سنة ٦٥٦هـ فيذكر أنه:

لما دخلت سنة سبع وأربعين ضاقت الأمور بالملك الناصر بالكرك فاستناب بها ولده الملك المعظم شرف الدين... وأخذ ما يعز عليه من الجواهر ومضى في البرية إلى حلب مستجيراً بالملك الناصر صلاح الدين يوسف... فأنزله صاحب حلب وأكرمه، وسير الملك الناصر ما معه من الجواهر إلى

بغداد لتكون وديعة له عند الخليفة المستعصم بالله، فلما وصل الجواهر إلى بغداد قبض وسير إلى الملك الناصر داود خط بقبضه، واراد ان يكون آمن عليه لكونه مودع في دار الخلافة فلم ينظره بعد ذلك، وكانت قيمته مائة الف دينار لو بيع بالهوان(١٠٠) .

غير أن اليونيني نفسه يورد خبراً في حوادث سنة ٦٣٣هـ فيه إشارة إلى جواهر نفيسة أهداها الملك الناصر إلى الخليفة المستنصر بالله والد المستعصم بالله، ونصه كما يأتي :

قوي عزم الملك الناصر على قصد الخليفة المستنصر بالله والاستجارة به، فحصل النجب والروايا وما يحتاج إليه لسفر البرية، ثم توجه وصحبته فخر القضاة نصر الله بن بزاقة والشيخ شمس الدين عبدالحميد الخسروشاهي والخواص من مماثيله، فلما قرب من بغداد أمر الخليفة بتلقيه وإكرامه، ودخل بغداد ونزل بها مكرماً معظماً، وقدم للخليفة ما كان استصحبه معه من الجواهر النفيسة والتحف والهدايا ... وأمر الخليفة له بالإقامات الكثيرة ولأصحابه بالعطايا والخلع، وكان آثر ان يأذن له الخليفة بالحضور بين يديه فيقبل يده ومشاهدة وجهه(١٠١) .

ويشير الذهبي إلى توجه الناصر داود إلى الخليفة المستنصر بالله فيقول: «ثم بعد سنة ثلاثين سار إلى المستنصر بالله وقدم له تحفاً واجتمع به وأكرمه بعد امتناع بعمل قصيدته الفائقة... فوقعت القصيدة من الخليفة بموقع، وأدخل ليلاً وآنسه وذاكره وخرج سراً رعاية لخاطر الكامل»(١٠٢). ويدل الخبر على محاصرة أقارب الناصر داود له، وأنهم كانوا لا يحبذون أن يحظى بأي رعاية أو عناية من الخليفة، وهو ما جعله يمتنع عن مقابلته، ثم بعد أن قابله جرى اللقاء بينهما سراً.

ويذكر الذهبي أن الناصر عاد إلى الكرك، ثم لما مات الكامل بدمشق طمع في الاستيلاء على الحكم في دمشق فقاتل الجواد «بقرب عجلون فانكسر وذهبت خزائنه، وطلع إلى الكرك»(١٠٣). وفي موضع آخر يذكر أن الملك الصالح حارب الناصر داود وحاصره سنة ٦٤٤هـ «وقل ما بيد الناصر، ونفذ رسوله إلى الخسروشاهي من عنده إلى الصالح ومعه ابنه الأمجد أن يعطيه خبزاً بمصر ويتسلم الكرك فأجابه»(١٠٤). وجملة الأخبار تدل على اضطراب حال الناصر داود، وأن أهله كانوا يطاردونه ويضيقون عليه، وأنه فقد أمواله في خضم نزاعه معهم، وأنه كان

على علاقة وثيقة بالمستنصر بالله وابنه المستعصم.

وهناك خبر أشير إليه سابقاً يوضح أن الخليفة المستعصم بالله شفع لإطلاق سراحه من معتقله، وأن الخليفة نفسه أرسل إليه مندوباً لحمله إلى بغداد ليستعين به على قتال المغول في سنة ٦٥٦هـ فأرسل إليه رسولاً:

لما قصده التتر ليقدمه على بعض العساكر لملتقى التتر، فلما ورد رسول الخليفة إلى دمشق جهزوه إلى المغيث صاحب الكرك، ووصل الرسول إلى موضع الملك الناصر قبل أن يتم المطمورة، فأخذه وسار به إلى جهة دمشق، فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة، فتركه الرسول ومضى لشانه[١٠٥].

ويدفع كل ذلك إلى الاعتقاد أن خبر الوديعة هو خبر ملفق لا يعتمد على حقيقة أو واقع، ثم في حال تصديق الخبر فإن الاحتمال أن الخليفة المستعصم بالله توقف عن إعادتها إليه مراعاة للحصار الذي فرضه الحاكم القوي في الشام على تحركات الملك الناصر داود؛ رغبة في تحسين علاقته به في وقت كان يواجه فتنة المغول، وحاجته إلى المال

في ذلك الظرف العصيب.

ومن الواضح أن وصمه بالشح وحب المال لا يتفقان مع ما ذكره جملة من المؤرخين من أنه كان كريماً، ولا مع الأخبار التي تدل على إنفاقه بسخاء على تشييد المكتبات والمدارس وأعمال الخير في رمضان ورجب، والإفراج عن المسجونين بأداء ما عليهم لغرمائهم، كما أن الأخبار التي روجها أعوان المغول عن الأموال والكنوز التي جمعها ودفنها في قصره هي من باب تشويه سمعته؛ إذ لو كانت هناك أموال لديه لأنفقها على الجند الذين تفرقوا من حوله لعدم القدرة على الصرف عليهم.

ثانياً: إهمال شؤون الدولة وسقوط بغداد

وأما سقوط بغداد فهو أكبر مأخذ عليه عند المؤرخين، وقد ذهب جملة منهم إلى أن السبب يعود إلى ضعفه وركونه إلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي الشيعي المذهب الذي بذل طاقته لإضعاف الدولة وإغراء المغول بدخول بغداد، وأنه عمل على إقناع الخليفة بتقليص عدد الجنود، كل ذلك من أجل إسقاط الخلافة العباسية وتحويلها إلى العلويين بما يتوافق مع معتقده الطائفي. ورغم إجماع المؤرخين على دور ابن العلقمي التآمري

إلا أنه دون شك كان أقل شأناً من أن يؤثر على المستعصم بالله، ولعل كل ما فعله هو التآمر السري مع المغول ضد الخلافة التي كانت تترنح قبل فترة المستعصم بالله بعقود كثيرة بسبب النزعة الاستقلالية التي سادت أجزاءً كثيرة من المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ الخلافة العباسية، ثم بسبب الخلافات بين السلاطين والحكام ونزاعاتهم وما كان يؤدي إليه ذلك من حروب فيما بينهم، وقد مهد الوضع المتردي للدويلات المستقلة الطريق للمغول الذين استغلوا ضعف الحكام والسلاطين وتفرق كلمتهم وجعلهم مصالحهم الشخصية فوق مصلحة الإسلام والمسلمين، ومن ثَمَّ شنوا حملات متتالية على ما وراء النهر وخراسان في عهد الخليفة الناصر لدين الله. ويذكر ابن كثير في حوادث سنة ٦١٧هـ أن التتار «وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى أربل وأعمالها فملكوا في سنة واحدة، وهي هذه السنة، سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر»(١٠٦)، ووصلوا في عهد المستنصر بالله والد المستعصم إلى تخوم العراق من الشرق والشمال.

ويتبين لنا مما سبق أن الخلافة العباسية كانت في طريقها إلى الزوال سواء كان المستعصم بالله هو الخليفة أو غيره، أما ابن

العلقمي الذي والى المغول فلعله أراد الاستفادة من الوضع العام الذي كان في صالحهم؛ رغبةً منه في كسب مودتهم ومن ثَمَّ الحصول على مكانة لديهم، وهو ما لم يحدث؛ إذ إنه بعد نجاته من الموت عاش ذليلاً خارج السلطة، ولم يكن له أي دور سياسي.

ثالثاً: اللهو وسماع الأغاني

وأما القول بانصرافه إلى اللهو وسماع الأغاني ففيه مبالغة؛ إذ لا نجد ما يسانده غير خبرين، أورد الأول منهما ابن الأرموي عندما أشار إلى علاقة المستعصم بالله بالمغنية لحاظ، وأنها كانت تغني بين يديه، وفي الخبر ما يوحي بالصنعة والتلفيق؛ إذ نجده في ذلك الخبر يقول بأنه أي الأرموي حضر عند هولاكو وغنى له «فأضعف ما كان لي في أيام المستعصم»(١٠٧)، ولا نعرف بأي لغة غنى لهولاكو، ثم هل كان لدى ذلك القائد البربري الوقت لسماع الأغاني، وإن كان قد غنى لهولاكو حقيقة فذلك يعني متانة علاقته به، فكان عليه أن يساير الدعاية المغولية التي كان هدفها الأساس الحط من قدر الخليفة الشهيد الإمام المستعصم بالله.

كما أن الخبر الذي أورده ابن الفوطي عن المحظية عرفة نجده يأتي في فترة متأخرة على صيغة أخرى، فيذكر ابن كثير كما

أوردنا سابقاً أنها كانت ترقص بين يديه، وليس من المعقول أن يكون الخليفة في مثل ذلك الوضع العبثي وجند المغول يحيطون بقصره، وهو لا يتفق مع وصفه بعفة الفرج واللسان، والبعد عن اقتراف المنكر، والحرص على تلاوة القرآن ورواية الحديث النبوي الشريف، والمداومة على صيام الاثنين والخميس وشهر رجب.

وما ننتهي إليه هو صحة الفرضية التي دار عليها هذا البحث، وهي عدم صدق أغلب السلبيات التي ألصقت بشخصيته؛ لأن مصدرها مؤرخون موالون للمغول «لا يعول على ما يقولون في وصفه الشخصي»(١٠٨)، تابعهم في الأخذ بها مؤرخون متأخرون جمعوا ما وقفوا عليه من أقوال متناقضة في وصف شخصيته دونما تمحيص.

ووفقاً لما أورده ابن الكازروني، ومن خلال الأخبار المتناثرة عن الوضع العلمي والسياسي والاجتماعي في عهده، فقد قام الخليفة المستعصم بالله بأعباء الدولة خير قيام رغم الظروف القاسية والمحن الكثيرة التي واجهها، وتخطى دوره حدود منطقة حكمه فتدخل للإصلاح بين الفئات المتحاربة، واستقبل الأمراء الفارين نتيجة وقوع مشاكل بينهم وبين أقاربهم، كما كان

متديناً، حليماً، فاضلاً، شريف النفس، كريم الطباع، محباً للعلم والعلماء، أسهم في بناء دور العلم؛ مثل: المكتبات والمدارس، واهتم بأمور الرعية، وواجه المغول في حدود إمكاناته العسكرية.

ونختم الحديث عنه بوصف لمعاصر له، هو علي بن أنجب المعروف بابن الساعي البغدادي، المولود سنة ٥٩٣هـ والمتوفى سنة ٦٧٤هـ نقله عنه عبدالرحمن بن إبراهيم قنيتو الأربلي المولود سنة ٦٤٠هـ والمتوفى سنة ٧١٧هـ قال فيه:

وأما سيرته فكان فيه أوصاف لم تجتمع في غيره ممن مضى من آبائه وأجداده رحمهم الله، فإنه كان حافظاً للقرآن المجيد عاكفاً على تلاوته، مواظباً على الصلوات في أوقاتها وصوم الاثنين والخميس من كل شهر وصوم شهر رجب دائماً، لا يخل بذلك مدة خلافته وقبل خلافته، وكان له جاريتان قبل الخلافة له من إحداهما ثلاث بنين وبنت، ومن الأخرى أربع بنات، فلما أفضت الخلافة إليه لم يتغير عليهما ولا أغارهما بل راعاهما حفظاً لعهدهما، ثم طلبت منه أم البنين أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك، فلما ماتت استجد بأخرى وحظيت عنده فلم يعترض بغيرها وجاء منها بولد ذكر، وطلبت منه أيضاً أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك. هذا فيما

يرجع إلى حسن العشرة وحفظ العهد ومراعاة الصحبة والوفاء، وكان عفيف الفرج لم ينكشف ذيله على حرام قط، ولا شرب مسكراً، ولا وقعت عينه عليه، ولم يعلم أنه عصى الله تعالى بفرجه ولا فمه، غير أنه لم ينزه سمعه عن سماع المحرم؛ فإنه كان مغرماً بسماع الملاهي محباً للهو واللعب، يبلغه أن مغنية أو صاحب طرب في بلد من البلاد فيراسل سلطان ذلك البلد في طلبه. ثم وكل أموره الكليات إلى غير الأكفاء، وأهمل ما يجب عليه حفظه والنظر في[١٠٩].

ويحتوي النص السابق على إشارات تتفق في أغلب جوانبها مع من تحدثوا بشكل إيجابي عن المستعصم بالله، وإن حمل ما يكرس وصمه بحب اللهو وإهمال أمور الدولة، وكان من المفترض جعله أول نص في القسم الخاص بالنصوص التاريخية التي تحدثت عنه حديثاً مباشراً؛ أي قبل نص ابن العبري؛ لأن ابن الساعي كان بغدادياً معاصراً للخليفة، بل هو أسن منه، وعمل في بلاطه فعرفه عن قرب، إلا أن هذا النص غير موجود في النسخة المنشورة بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٩هـ من كتاب ابن الساعي (مختصر أخبار الخلفاء)، وبالتالي لا يمكننا التحقق من صدق نسبة الكلام إليه، ومع ذلك فسوف نورد فيما

ياتي مقارنة بينه وبين ما ورد في النصوص الأخرى:

الصفة عند ابن الساعي	من وصفه بها من المؤرخين الآخرين
- حافظاً للقرآن المجيد، عاكفاً على تلاوته	ابن الكازروني، ابن الطقطقي، الذهبي، ابن كثير.
- مواظباً على الصلوات في أوقاتها، وصوم الاثنين والخميس من كل شهر وصوم شهر رجب	ابن الكازروني، ابن الفوطي، ابن الطقطقي، اليونيني، الذهبي، الكتبي، الغساني، السيوطي.
- حسن العشرة، حافظاً للعهد، وفياً	ابن الكازروني، ابن الفوطي، الذهبي، ابن كثير، الغساني، السيوطي.
- عفيف الفرج واللسان، يتجنب ارتكاب المنكرات	ابن الكازروني، ابن الطقطقي، ابن كثير، الغساني.
- محباً للغناء	ابن العبري، ابن الطقطقي، رشيد الهمذاني، الكتبي.
- مهملاً لأمور الدولة، يتكل فيها على الآخرين	ابن العبري، ابن الطقطقي، اليونيني، أبو الفداء، الذهبي، الكتبي، ابن كثير، القلقشندي، ابن تغري بردي، السيوطي.

ويتبين لنا من الجدول السابق شبه اتفاق على إيجابيات فيه تتمثل في: التدين، وحسن المعاملة والعشرة، وحفظ العهد، وعفة اللسان والفرج، والمواظبة على الصلوات، وصوم الاثنين والخميس وشهر رجب، وشبه اتفاق على صفتين غير حميدتين، هما: إهمال أمور الدولة والاتكال فيها على الغير، وسماع الأغاني. وإذا كانت السلبية الأخيرة لها ما يؤيدها في الأخبار التي رويت عنه فإن إهمال أمور الدولة والاتكال فيها على غيره ليست واضحة، ففي الأخبار التي يرويها ابن الفوطي والأشرف الغساني نجده متابعاً دقيقاً لأمور الدولة مهتماً بشؤون الناس، ولكن لعله كان محاطاً بحاشية كانت تسيء التصرف مما ألحق الأذى بسمعته وسيرته في هذا الجانب، وقد يكون ذلك في آخر عهده بعد أن فلت زمام الأمر منه ودخل رجالات دولته في صراع بينهم، ولم يكن في بلاطه أو من بين المقربين إليه من هو أحسن حالاً منهم؛ إذ إن ما يروى عنه منذ بداية خلافته إلى سنة ٦٥٣هـ فيه ما يوحي بحزمه ومتابعته لأمور دولته متابعة مباشرة، واهتمامه ببناء المدارس والمكتبات والربط والخانات وإصلاح طريق الحج.

ويذكر ابن الفوطي ما يؤكد أن الانهيار الذي وصلت إليه الخلافة كان عقب سنة ٦٥٣هـ بعد وفاة إقبال الشرابي الذي يقول عنه:

وفيها - أي ٦٥٣هـ - توفي شرف الدين إقبال الشرابي، كان شيخاً شجاعاً، كريماً، شريف النفس، عالي الهمة، بنى بواسط مدرسة على شاطئ دجلة بالجانب الشرقي، وعمر إلى جانبها جامعاً، وبنى ببغداد مدرسة في سوق السلطان، وجدد بمكة - شرفها الله تعالى - الرباط الذي اشتهر ذكره في الدنيا، وعين عرفة التي في الموقف، وأجرى ماءها لانتفاع الحاج به، وأوقف على ذلك كله الوقوف...، وكان كثير الصدقات...، كان في خدمة الخليفة بالحلة، فمرض وحمل إلى بغداد في شبارة وهو مثقل، فوصل في سابع عشري شوال، وتوفي في ثامن عشريه، وصلي عليه في جامع القصر، ودفن في تربة أم الخليفة المستعصم بالله بباب القبة على يمين الداخل، وجلس الوزير وأرباب المناصب في العزاء بالمدرسة المستنصرية(١١٠).

ويبين عمق العلاقة بينه وبين المستعصم، وكيف أثر رحيله

في سير الأمور في الدولة قائلاً: «فلما أفضت الخلافة إلى المستعصم زادت منزلته عنده وقرب من قلبه... وظهر من حسن تدبيره ما أوجب زيادة الإنعام عليه، وكان حال الملك منتظماً بصائب رأيه، فلما توفي اختلت الأحوال بعده»(١١١).

ومن تتبُّع سيرة الشرابي نلحظ أنه كان إدارياً محنكاً اكتسب تجربة طويلة لعمله مع المستنصر ثم المستعصم، وكان من الموالين للخلافة العباسية ولاءً تاماً، أسهم إسهاماً واضحاً في كثير من الجوانب العمرانية والإدارية والحربية، وبالتالي فإن موته أفقد الخليفة سنداً قوياً كان يركن إليه في الشدائد، ويعتمد عليه في كثير من أمور الدولة، وقد أدى موته إلى تفرد ابن العلقمي بالسلطة التنفيذية فأساء التدبير، وكان سبباً في كثير من المشاكل التي وقع فيها الخليفة، لعدم صدقه وقلة وفائه، وانجرافه في التآمر على دولة الخلافة.

خاتمة

لم يكن أمير المؤمنين المستعصم بالله الخليفة العباسي الوحيد الذي ألصقت به اتهامات باطلة، وألحقت به نقائص وسلبيات، فقد طالت الاتهامات جده الأكبر الخليفة هارون الرشيد، ويكفي أن الرشيد بسبب الأكاذيب الكثيرة التي تناقلها الرواة عنه أصبح مثلاً للمجون والخلاعة، وهو الخليفة المجاهد العابد الذي قضى حياته القصيرة متنقلاً بين ساحات المعارك والحج إلى بيت الله الحرام وبناء الدولة وترسيخ الحضارة، وقد بين مجموعة من الدارسين؛ مثل: عبدالجبار الجومرد وشوقي أبو خليل، حقيقة هذا الخليفة ودحضوا بالأدلة والبراهين كل الأكاذيب التي نسجت حول حياته.

كما وصم الخليفة الراشد بالله بصفات سلبية قبيحة أشار بعض المؤرخين إلى كذبها، وكيف أنها ألصقت به لأنه أراد أن يخلص الخلافة من سطوة السلاطين وسيطرتهم على مقاليد الحكم فلجأوا إلى وصمه بما لم يكن فيه لتبرير عزله عن الخلافة.

ولا شك أن ما ذكره ابن الكازروني عن المستعصم بالله وما وصفه به هو الحق وهو الفيصل، ولم تكن الصورة القبيحة التي

صور عليها إلا تبريراً من المغول وأعوانهم للاستحواذ على السلطة، ولتبرير الجرائم وأعمال التدمير التي ارتكبوها ضد الإسلام والمسلمين.

وقد سبب مقتل المستعصم بالله في سنة ٦٥٦هـ صدمة للمسلمين الذين كانوا يعدونه رمزاً روحياً لهم، فاستمر بعض الحكام في الاعتراف بخلافته رغم موته، فمن ذلك أن السلطان السلجوقي في آسيا الصغرى ركن الدين قليج أرسلان ضرب دراهم في السنوات ٦٥٧ و٦٥٩ و٦٦٣هـ حملت اسم الخليفة المستعصم بالله[١١٢].

ويقول محمد باقر الحسيني مشيراً إلى هذه الظاهرة أنه:

كان بين الخليفة العباسي وبين السلطان وغيره من السلاطين أو الحكام بيعة على الرغم من قتل المغول لهذا الخليفة، بل الأقرب إلى الواقع أن شرعية حقهم في نقش اسم الخليفة العباسي للاحتفاظ به صحبة أسمائهم كي تكسب نقودهم الشرعية اللازمة لإصدارها... إن حذف اسم الخليفة العباسي من نقوده المضروبة على الرغم من موته صعبة على السلطان، علماً بأن المسلمين عموماً والذين يسكنون أطراف العراق

بعيداً عن بغداد خصوصاً لا يزالون يعتبرون ان الخليفة الممثل الشرعي في البلاد، وانهم كانوا يرون ضرورة وجود خلافة تبارك العالم وتجعل سلطات الولاة شرعية(١١٣).

كما يذكر أحمد عمر الزيلعي أنه اطلع على ثماني قطع من دراهم الدولة الرسولية في اليمن من عهد الملك المظفر ضربت في السنوات ٦٥٧ و٦٥٩ و٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٤هـ نقش عليها اسم الخليفة المستعصم بالله(١١٤).

ولو كان المستعصم بالله على ما وصفه به عملاء المغول ومن نقل عنهم دون تمحيص من المؤرخين المسلمين لما تردد السلطان قليج أرسلان والملك المظفر الرسولي في التخلي عن الإشارة إليه، ولكن تمسكهما بالولاء له خليفة حتى بعد مقتله يدل على أنهما كانا يعرفان عنه ما جعلهما يستمران على ولائهما له رحمه الله، ولو كانت المسألة تتعلق باكتساب شرعية لنقودهم لنقشوا عليها اسم الخليفة العباسي في مصر.

الهوامش



١- **تاريخ مختصر الدول**، ص ٢٥٤، ٢٥٥ .

٢- **تاريخ الزمان**، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

٣- **مختصر التاريخ، من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**، ص ٢٦٨ .

٤- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، ص ٢٤٢ .

٥- **جامع التواريخ، تاريخ المغول، المجلد الثاني - الجزء الأول، الإيلخانيون تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين**، ص ٢٧١ .

٦- السابق، ص ٢٧٣ .

٧- **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ٥ / ٢٠٨ .

٨- **ذيل مرآة الزمان**، ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٩- السابق، ص١٣ .

١٠- **المختصر في أخبار البشر**، ص١٩٤ .

١١- **سير أعلام النبلاء**، ٢٣ / ١٧٤ - ١٧٥ .

١٢- **تاريخ الإسلام**، ١٤ / ٨١٩ .

١٣- **دول الإسلام**، ٢ / ١٥٥ .

١٤- **العبر في خبر من غبر**، ٣ / ٢٨١ .

١٥- **كتاب مختصر تاريخ الخلفاء**، ص ١٤ ، ١٥ .

١٦- **فوات الوفيات**، ١/٤٩٦ - ٤٩٧ .

١٧- **البداية والنهاية**، ١٣/١٦١ .

١٨- السابق، ١٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥ .

١٩- **العسجد المسبوك**، ص٦٣٢ .

٢٠- **تاريخ ابن خلدون**، ٣/ ٦٥٠ .

٢١- **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، ٢/٨٩ .

٢٢- **النجوم الزاهرة**، ٧/٤٣ .

٢٣- السابق، ٧/ ٦٠ .

٢٤- **تاريخ الخلفاء**، ص ٤٦٤ .

٢٥- **ذيل مرآة الزمان**، ١/١٣ .

٢٦- **تاريخ ابن الوردي**، ٢/١٧٦ .

٢٧- السابق، ٢/١٨٧ .

٢٨- **فوات الوفيات**، ٢/٣٩- ٤٠ .

٢٩- **تاريخ مختصر الدول**، ص ٢٧١ .

٣٠- **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، ص١٥٦ .

٣١- **البداية والنهاية** ١٣/ ٢٠٠ .

٣٢- **الحوادث الجامعة**، ص١٠١ .

٣٣- السابق، ١٠٦ .

٣٤- **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ٤ /٥٤٢ - ٥٤٣ .

٣٥- السابق، ٥ /٧ - ٨ .

٣٦- السابق، ٤ /١٣٨ - ١٣٩ .

٣٧- السابق، ٣ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

٣٨- السابق، ٣ / ٤٧٠ .

٣٩- **تاريخ علماء بغداد**، ص ١١٩ .

٤٠- السابق، ص ٩٧ ، ٩٨ .

٤١- **ذيل مرآة الزمان**، ١ / ٢٥٤ .

٤٢- **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ٥ /٩٨ .

٤٣- **الفخري في الآداب السلطانية**، ص٣٣٤ .

٤٤- السابق، ص ٣٣٣ .

٤٥- **فوات الوفيات**، ٢ / ٣٩ .

٤٦- **الحوادث الجامعة**، ص٩٣ .

٤٧- **العسجد المسبوك**، ٢ /٥١٦ .

٤٨- **الحوادث الجامعة**، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

٤٩- **البداية والنهاية**، ١٣ / ١٧٢ .

٥٠- **الحوادث الجامعة**، ص٨٧ .

٥١- السابق، ص١٤٩ .

٥٢- **العسجد المسبوك**، ٢/٦٠٩ - ٦١٠ .

٥٣- **الحوادث الجامعة**، ص١٢٥ .

٥٤- السابق، ص١٢٨ .

٥٥- السابق، ص١٢٨ .

٥٦- السابق، ص١٣٤ .

٥٧- السابق، ص١٤٨ .

٥٨- السابق، ص٨٧ .

٥٩- السابق، ص ٨٧ ، ٨٨ .

٦٠- السابق، ص٩٠ .

٦١- السابق، ص ٩٧ ، ٩٨ .

٦٢- **العسجد المسبوك**، ٢/٥٣٦ .

٦٣- السابق، ٢/٥١٢ .

٦٤- السابق، ٢/٥١٨ .

٦٥- السابق، ٢/ ٥٧٨ .

٦٦- السابق، ٢/٦٠٣ .

٦٧- السابق، ٢/٦١١ .

٦٨- **الفخري في الآداب السلطانية**، ص٣٣٤ .

٦٩- **الحوادث الجامعة**، ص١١١ .

٧٠- **العسجد المسبوك**، ٢ /٥٥٣ .

٧١- السابق، ٢ /٥٩٣ .

٧٢- **الحوادث الجامعة**، ص١٤٥ .

٧٣- **العسجد المسبوك**، ٢ /٦٢١ .

٧٤- **الحوادث الجامعة**، ص١٢٢ ، **العسجد المسبوك**، ٢ /٥٧٥ .

٧٥- **العسجد المسبوك**، ٢ /٥٨٥ .

٧٦- السابق، ص٥٢٩ .

٧٧- السابق، ص٥٤٢ .

٧٨- السابق، ص ٥٤٣ .

٧٩- **تاريخ ابن الوردي**، ٢ /١٧٠ .

٨٠- **العسجد المسبوك**، ٢ /٥٥١ .

٨١- **تاريخ ابن الوردي**، ٢ /١٨٤ .

وانظر: **ابن كثير**، ١٣ /١٨٤ .

٨٢- السابق، ٢ /١٨٠ .

٨٣- **بدائع الزهور**، ج١، ق١ /٢٨٦ .

وتاريخ ابن الوردي، ٢ /١٧٨ .

٨٤- **بدائع الزهور**، ج١، ق١ /٢٨٧ .

٨٥- **مجمع الآداب**، ٢ / ١١١ .

٨٦- **تاريخ ابن الوردي**، ٢ / ١٨٤ .

٨٧- **البداية والنهاية**، ١٣ / ١٨٤ ، **تاريخ ابن الوردي**، ٢ / ١٨٤ .

٨٨- **العسجد المسبوك**، ٢ / ٥٨٥ .

٨٩- **تاريخ ابن الوردي**، ٢ / ١٨٧ .

٩٠- السابق، ٢ / ١٨٨ .

٩١- **العقد الثمين**، ٥ / ٢٩٠ .

٩٢- **الحوادث الجامعة**، ص ١٠٠ .

٩٣- **العسجد المسبوك**، ٢ / ٥٣٥ .

٩٤- **الحوادث الجامعة**، ص١١٩ .

٩٥- **تاريخ مختصر الدول** (ترجمة ابن العبري) ص ج - هـ.

٩٦- **مختصر التاريخ** (ترجمة المؤلف)، ص ١٢ .

٩٧- السابق، ص ١٢ .

٩٨- السابق، ص٧ ، نقلاً عن : **غاية المرام** .

٩٩- السابق، ص٨ ، نقلاً عن : **طبقات الشافعية** لابن قاضي شهبة .

١٠٠- **ذيل مرآة الزمان**، ١ / ١٦٤ .

١٠١- السابق، ١ / ١٣٢ .

١٠٢- **سير أعلام النبلاء**، ٢٣ / ٣٧٧ - ٣٧٩ .

١٠٣- السابق، ٢٣ / ٣٧٩ .

١٠٤- السابق، ٢٣ / ٣٨٠ .

١٠٥- **تاريخ ابن الوردي**، ٢ / ١٩٢ .

١٠٦- **البداية والنهاية**، ١٣ / ٨٦ .

١٠٧- **فوات الوفيات**، ٢ / ٤٠ .

١٠٨- **تاريخ العراق بين احتلالين**، ١ / ١٨٣ .

١٠٩- **خلاصة الذهب المسبوك**، ص ٢٩١ .

١١٠- **الحوادث الجامعة**، ص ١٤٩ .

١١١- السابق، ص ١٤٩ .

١١٢- «نقود فضية نادرة نقش عليها اسم الخليفة العباسي المستعصم بالله بعد وفاته»، **المسكوكات**، ع٤ (١٩٧٣م)، ص ٢٤ .

١١٣- السابق، ص ٢٥ .

١١٤- «دراهم رسولية مظفرية نقش عليها اسم الخليفة المستعصم بالله بعد وفاته»، **اليرموك للمسكوكات**، مج٥ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص ٢٩ .

المراجع



-علي بن أنجب ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ). **كتاب مختصر أخبار الخلفاء**.- القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٠٩هـ.

-غريغوريوس الملطي، ابن العبري (ت ٦٨٥هـ). **تاريخ مختصر الدول**.- بيروت: دار المسيرة.

-علي بن محمد البغدادي ظهير الدين ابن الكازروني (ت ٦٩٧هـ). **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**؛ تحقيق: مصطفى جواد.- بغداد: وزارة الإعلام، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

-محمد بن علي بن طباطبا، فخر الدين ابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**.- بيروت: دار صادر.

-رشيد الدين الهمذاني (ت ٧١٧هـ). **جامع التواريخ**؛ تحقيق: فؤاد عبدالمعطي الصياد، ويحيى الخشاب.- بيروت، مطبعة دار النهضة العربية، ١٩٨٣م.

-عبدالرحمن إبراهيم سنبط قنيتو الأربلي (ت ٧١٧هـ). **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**؛ تحقيق: مكي السيد جاسم.- بغداد: مكتبة المثنى.

- عبدالرزاق بن أحمد، كمال الدين ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ).
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في ذكر المائة السابعة. - بيروت: دار الفكر الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- عبدالرزاق بن أحمد، كمال الدين ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ).
مجمع الآداب في معجم الألقاب؛ تحقيق: محمد الكاظم. - طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٦هـ.

- موسى بن محمد قطب الدين اليونيني (ت ٧٢٦هـ). **ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٥٤هـ إلى سنة ٦٦٢هـ**. - حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

- محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
تاريخ الإسلام؛ تحقيق: بشار عواد معروف. - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
دول الإسلام؛ تحقيق: حسن إسماعيل مروة، ومحمود الأرناؤوط. - بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م.

- محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
سير أعلام النبلاء؛ تحقيق: محيي هلال السرحان. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

-محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ). **العبر في خبر من غبر**؛ تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول .- بيروت: دار الكتب العلمية.

-عمر بن مظفر ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ). **تاريخ ابن الوردي** .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

-مغلطاي بن قليج بن عبدالله الحكري (ت ٧٦٢هـ). **كتاب مختصر تاريخ الخلفاء**؛ تحقيق: يحيى بن حمزة الوزنة .- القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

-محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). **فوات الوفيات**؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد .- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م.

-محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ). **تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار**؛ تحقيق: عباس العزاوي .- ط٢ .- بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

-إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ). **البداية والنهاية** .- ط٢ .- بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م.

-إسماعيل بن العباس، عماد الدين الأشرف الغساني (ت ٨٠٣هـ). **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء**

والملوك؛ تحقيق: شاكر محمود عبدالمنعم.- بيروت: دار التراث الإسلامي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ). **تاريخ ابن خلدون**.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ). **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**؛ تحقيق: عبدالستار أحمد فراج.- بيروت: عالم الكتب.

- محمد بن أحمد تقي الدين الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ). **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**؛ تحقيق: فؤاد سيد.- ط٢.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- يوسف بن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**؛ تحقيق: محمد حسين شمس الدين.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). **تاريخ الخلفاء**؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.- ط٢.- القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩م.

- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**؛ تحقيق: محمد مصطفى.- ط٢.-

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-عباس العزاوي. **تاريخ العراق بين احتلالين**.- بغداد: مطبعة بغداد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

-محمد باقر الحسيني «نقود فضية نادرة نقش عليها اسم الخليفة العباسي المستعصم بالله بعد وفاته»، **المسكوكات**، ع٤، (١٩٧٣م).

-محفوظ العباسي. **العباسيون بعد احتلال بغداد**.- بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٠م.

-أحمد عمر الزيلعي «دراهم رسولية مظفرية نقش عليها اسم الخليفة المستعصم بالله بعد وفاته: دراسة في مغزاها السياسي وطراز سكها»، **اليرموك للمسكوكات**، مج٥، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

المؤلف:

يحيى محمود بن جنيد

- أستاذ المكتبات والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة سابقاً.
- عمل مشرفاً على مرحلة إنشاء مكتبة الملك فهد الوطنية، ثمّ أميناً لها خلال الفترة من ١٤٠٧ الى ١٤١٦ هـ.
- اختير عضواً في مجلس الشورى في الدورة الثانية.
- يعمل حالياً أميناً عاماً لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة - الرياض.
- يرأس تحرير ثلاث مجلاّت، هي: عالم الكتب، وعالم المخطوطات والنوادر (عن دار ثقيف للنشر والتأليف) والفيصل (عن دار الفيصل الثقافية)، له أكثر من عشرين كتاباً وستين بحثاً علمياً.

الكتاب:

رؤية جديدة عن حياة الخليفة المستعصم بالله العبّاسي الذي اتُّهم بالضعف وحب اللهو والتفريط في الخلافة، وقد دحض الباحث الاتهامات التي وجهت إليه بالأدلّة والبراهين مستخدماً النصوص التاريخية التي تنفي عنه ما نسب إليه من سلبيات، وفي مقابل ذلك أبرز الجوانب الإيجابية في حياة هذا الخليفة من مثل العدل والحلم والكرم ومتابعة شؤون الدولة والاهتمام بالرعية والتدين والتمسك بالأخلاق.

الناشر